سوريتنا

«عندما يقرر العبد أن لا يبقى عبدا فإن قيوده تسقط»
غاندي

صفحتنا على فيس بوك:
www.facebook.com/souriatna
souriatna@gmail.com souriatna.wordpress.com

سوريتنا | السنة الأولى | العدد (48) | 19 / 8 /2012 أسبوعية تصدر عن شباب سوري حر

على هذه الأرض ما يستحق الحياة..

بيوت من صفيح لإيـواء النازحين السوريين بطرابلس

أكثر من تسعة عشـر ألف نازح سوري مسجلين في لبنان

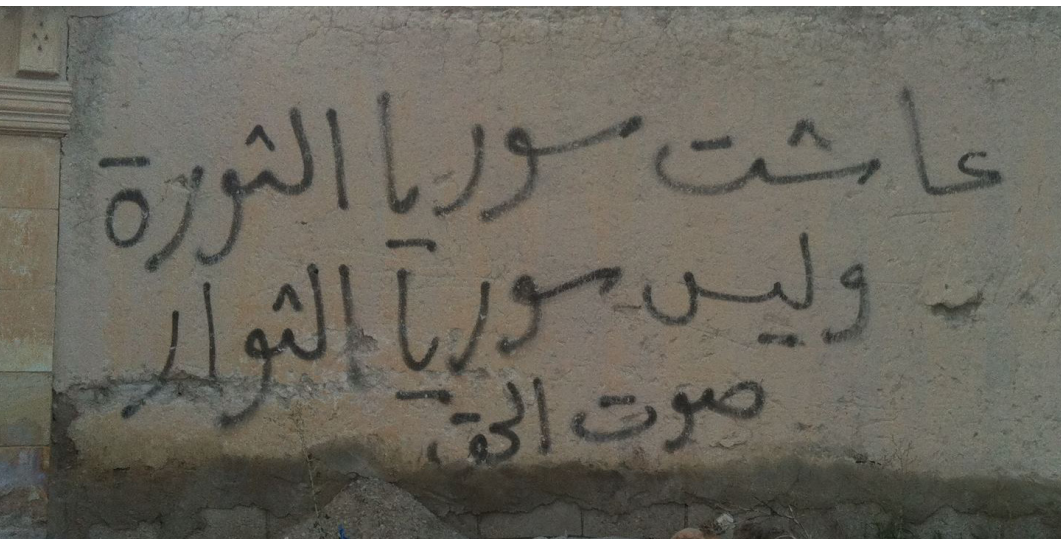

تركـت الحاجـة أم نوار بلدها سـوريا قبل ثلاثة أشـهر، لتعيـش في منزل صغير بحارة التنك مع عشـرة أفـراد، ومع ذلك قد تطرد إذا لم تتمكن من تأمين كلفة الإيجار، ولم تصل المساعدات إلى الحاجة أم نوار إلا مرتين حتى الآن.

وقد لجأ النازحون السوريون إلى حارة التنـك هـذه، لأنها أقـل غلاء مـن المناطق الأخرى، وهـي تقع في ضواحـي طرابلس الشـمالية، وأهلهـا ينامـون فـي بيوت من صفيح.

وفـي شـوارع التنـك، التقينـا مريم، يتيمـة حرمت مـن والدها الـذي كان يقاتل فـي صفـوف الجيش الحـر. وهـي تعيش هنـا مع جدها الذي بنى منزله من الخشـب وصناديق الكرتون، فهو غير قادر على دفع إيجار منزل حتى ولو كان في حارة التنك.

ويعيـش أكثـر من تسـعة عشـر ألف نازح سوري، مسـجلين في لبنان، يعيشون في الشمال من أصل خمسـة وثلاثين ألفا، ولطرابلس حصة كبيرة منهم.

وتتعاون ثلاث جمعيات خيرية أساسية، إضافـة إلى تنسـيقية اللاجئين السـوريين فـي لبنـان على الاهتمـام بهـم بإمكانيات متواضعـة لا تكفي احتياجـات العدد الكبير من النازحين.

وفي هـذا الإطار، أكـد رئيس جمعية البشـائر أحمـد مصطفـى محمـد أن "دخل الجمعيـات قليـل، ولـو اسـتطعنا توزيـع المعونات لجهة في شهر، ففي الشهر الآخر لابد من التوزيع في جهة أخرى".

أمـا الحكومة اللبنانيـة فتواجه مطالب الجمعيات الحقوقية بضـرورة الالتفات أكثر إلى معاناة النازحين، خاصة بعد توقف الهيئة العليـا للإغاثـة مؤخرا عن معالجـة الجرحى السوريين في المستشفيات اللبنانية.

لكن وزارة الشؤون الاجتماعية تتحدث اليوم عن خطة جديدة بمسـاندة من جهات عربية وأوروبيـة للتعامل مع ملف النازحين السوريين.

ومـن جانبـه، أكـد وزيـر الشـؤون الاجتماعيـة وائـل أبـو فاعور أنـه "لم يعد هناك انقسـام سياسي اليوم حول موضوع مساعدة النازحين".

قصف "الأتارب" بريف حلب يحولها إلى بلدة أشباح

سكانها نزحوا بالآلاف بسبب صواريخ النظام السوري والجيش الحر لا يزال يسيطر عليها

بلدة "الأتـارب" في ريـف حلب أصبحت مدينة أشـباح بعدما كانت مأهولة بالسكان، نزح منها حتـى الآن أكثر من 300 عائلة، ولا يمكـن للمتجول فـي ريف حلـب أن يتجاهل البلدة، هذه المدينة المدمـرة بالكامل، التي فقدت الحياة بعد تدمير بيوتها وتهجير أهلها، ووحدها الصواريخ إذن كانت في استقبالنا.

والبلـدة التي توجـد اليوم تحت سـيطرة الجيش الحر لا تزال تقصف بشكل يومي، وفي أحيـاء البلدة يمكـن الوقوف على بقايا أسـواق البلـدة، حيث كان هناك سـوق للذهب وسـوق آخر يرتاده الناس، لكنها اليوم عبارة عن أطلال وأتربة وأشياء مترامية في كل جهة.

وبهـذا تحولـت ثاني أكبر بلـدات حلب إلـى مدينـة المآسـي، ولـم تعـد "الأتارب" مشـهورة الآن إلا بالقصف والدمـار، وأثناء تجوالنـا بالبلدة، علمنـا أن الصواريخ قتلت عبـد اللّه أيوب بائع الخضـار وهو أب لثلاثة أولاد، وقد رأيناه وهو مسـجى على الأرض في كفنه الدامي.

هذا الوضع المأساوي دفع حوالي 300 عائلة، هـم أهالي "الأتارب"، إلـى الانتقال إلـى أطرافها أمـا الباقون فقـد رحلوا، ولم يبق هنا إلا كتائب الجيش الحر، بعضها لزم عليه البقـاء داخل البلدة لمنـع دخول قوات النظام، والبعـض الآخر عليه تقديم الدعم للمقاتلين في حلب.

وفي هـذا الإطار، قال أحـد المقاتلين إن "عدد أفـراد الجيش الحر يكفي لمواجهة "الجيش الأسـدي" هناك، والذخيرة متوفرة والحمد للّه، ونحن نحصل عليها من مصادر خاصة، كما نغنم من جيش الأسد أيضا".

وقـال مقاتـل آخـر، إن "بلـدة الأتارب مـكان اسـتراتيجي، حيـث تربـط سـوريا بتركيا"، مؤكدا أن "قوات النظام لا تستهدف الجيش الحر وإنما تستهدف المدنيين، حيث يحاولون ضربنا بأهلنا"، لكن السؤال المهم الـذي لم نحصل على إجابـة له في الأتارب هو: ما إن كان الجيش النظامي سيعود إلى البلدة، متى يعود أهلها إليها؟.

مختطَفو إيران بسوريا .. كفاءات في عمليات القمع

يشكلون جزءاً من شبكة سرية أنشئت لتقديم الدعم إلى نظام الأسد

بـدأت الملابسـات التـي أحاطـت بالمجموعـة الإيرانيـة المختطفـة بريـف دمشق بالكشف عن طبيعتها.

ونشرت صحيفة "كورياري ديلا سيرا" الإيطاليـة تقارير عن مصـادر معارضة في إيران وتسـريبات من داخل الحرس الثوري تشـير إلى أن الحجاج الإيرانيين الـ48 الذين اعتقلتهـم عناصر الجيش الحر في سـوريا فـي الرابع مـن أغسـطس/آب ينتمون في الواقـع إلى شـبكة سـرية أنشـئت لتقديم الدعـم ومسـاندة نظـام الأسـد، وهم ذوو كفـاءة وخبرة فـي عمليات القمع، بحسـب المعارضين الإيرانيين.

والوحـدة مؤلفـة مـن 150 شـخصاً توجهـت مجموعة منها إلى سـوريا على أن تتبعها مجموعة أخرى في 7 أغسطس، لكن الاستخبارات الإيرانية أرجأت إرسال الفريق الآخـر بعـد وقـوع القسـم الأول بقبضـة الجيـش الحر، بحسـب تسـريبات من داخل الحرس الثوري الإيراني.

ونقلـت صحيفـة "الشـرق الأوسـط" بدورهـا عـن دولـت نـوروزي التـي تمثل المجلـس الوطنـي للمقاومـة الإيرانية في بريطانيـا أن 18 من المختطفين الإيرانيين في سـوريا هم قادة قوات الشـهداء التابعة لمحافظـة أذربيجـان الغربيـة الإيرانيـة ومركزهـا أرومية وأبرز القـادة هم: العميد الحرسي عابدين خرّام قائد قوات الشهداء في أذربيجان،

حجة الإسـلام كريم حسـينخاني قائد قوات الباسـيج في أذربيجـان، العقيد طالب رحيمي قائد قوات الحرس في ميندوآب.

مؤسسات مدنية لتمويه نشاطات عسكرية

ويسـتخدم عناصـر الحـرس الثـوري وفيلـق القـدس شـركة طيـران "ماهـان" الإيرانيـة للدخول إلـى الأراضي السـورية بصفة عملاء لشركات تجارية للتمويه.

ومن هذه المؤسسات "ثمين" و"طلاية نور هجـرات"، ومقرهما الرئيسـي طهران ويترأسـها حسـن أسـتياني، ولديها فرعان آخران الأول في أصفهان والثاني في دمشق بإدارة حامد رضا غولباشيان وحجة الإسلام الغزالي، بحسـب التسـريبات التي نشـرتها "كورياري ديلا سيرا".

وعمـل الحـرس الثـوري علـى نقـل عناصـره إلى سـوريا إمـا جواً مباشـرة من طهـران وأصفهـان إلـى دمشـق، وإمـا براً عـن طريق النجـف في العراق وصـولاً إلى سوريا.

كما اعتمـد الحرس الإيراني - حسـب الصحيفـة الايطاليـة - علـى الميليشـيات المتواجـدة في بيروت ونقلهـا بحافلات إلى سوريا.

ويشـرف الجنـرال قاسـم سـليماني، قائـد فيلـق القدس في إيـران، على برامج دعم النظـام السـوري بالتعاون مـع اللواء الحـاج حيدر الـذي يقيم في دمشـق، فيما يقوم السـفير الإيراني السـابق في العراق حسن قمي، وموظف في الخارجية الإيرانية بالاهتمـام بالشـؤون الاقتصاديـة والدعم المالـي للحفاظ على نظام الأسـد، حسـب الصحيفة.

لاجئون في مخيم الزعتري «ينتفضون» في وجه فابيوس ويطلبون أسلحة

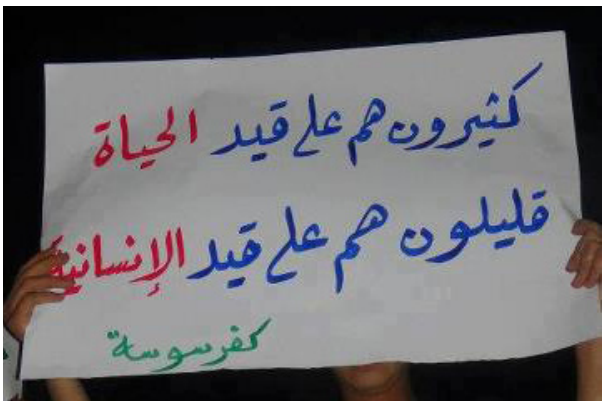

اعتاد لاجئون سوريون يعيشون «قسراً» في مخيم الزعتري شمال الأردن، على مهاجمة زيارات رسمية ينظمها مسؤولون أردنيون وغربيون لاستكشاف مخيمهم الموغل في عمق الصحراء، بسبب ما يقولون إنه «تجاهل لتردي أوضاعهم المعيشية».

وانتفض مئات اللاجئين في وجه وزيري الخارجية الأردني ناصر الجودة والفرنسي لوران فابيوس بعد زيارتهما المخيم الذي يبعد حوالى (85 كلم شمال شرقي عمان)، مرددين عبارات «الموت ولا المذلة».

وحاول هؤلاء الوصول إلى الوزير الفرنسي الذي كان منشغلاً بمؤتمر صحافي على أرض مليئة بالأتربة والغبار، لكن قوات الأمن المتواجدة في المكان حالت دون ذلك. كما منعت وسائل الإعلام تصوير الوقفة الاحتجاجية التي باتت عنواناً لمظاهر قسوة وتشرد تلاحق الفارين من «الجحيم السوري».

وفي ذات الإطار، أقرت وزارة الصحة الأردنية بانتشار داء السل داخل خيام بعض اللاجئين في الزعتري. وقال مدير الأمراض السارية في الوزارة خالد أبو رمان في تصريح مقتضب لجريدة الحياة: «تم الكشف عن 20 حالة مصابة بمرض السل بين صفوف اللاجئين بالمفرق، ويعالجون الآن في مراكز الأمراض الصدرية التابعة للوزارة».

وجاء هذا التصريح على وقع أنباء تداولها سكان المخيم، أشارت إلى وفاة طفل بسبب أزمة صدرية ناتجة من الغبار بعد نقله إلى المستشفى برفقة ذويه، لكن عاملين في المخيم لم يؤكدوا أو ينفوا صحة الوفاة.

كما تم رصد محاولات لم يكتب لها النجاح للاجئين سوريين كانوا يحاولون الفرار مع عائلاتهم إلى خارج المخيم.

وعلى بعد أمتار من مقدمة المخيم كان راتب الحريري (44 سنة) يحاول اجتياز الأسلاك الشائكة برفقة زوجته وطفله الذي غطى الغبار معالم وجهه وملابسه المقطعة، لكن أفرادا من الأمن الأردني أحبطوا محاولته.

وقال الحموي الذي كان حافي القدمين ويرتدي ملابس رثة غطتها حبات التراب الناعم: «كنا نعيش في درعا تحت القصف وهنا نعيش تحت المذلة.. التراب والغبار يفتكان بأجسادنا وطفلي يعاني ذبحة صدرية».

وأضاف: «الحال هنا لا يمكن تحملها، فلا طعام ولا دواء ولا حتى كهرباء».

وكانت السلطات الأردنية دفعت إلى المخيم بقوات درك وشرطة خلال الأيام الماضية، بعد أن لجأ العديد من السوريين إلى محاولات الهرب، بسبب حالة الإحباط والغضب التي تولدت لديهم، وهو ما قاله ممثل مفوضية اللاجئين في عمان آندرو هاربر لجريدة الحياة.

وعلى مسافة غير بعيدة من خيمة الحريري وعائلته، جلست فهيمة الدرعاوية (20 سنة) على حصير مهترئ، قائلة إن والدتها القادمة من بلدة طفس «تموت».

وأضافت: «إنها مريضة بالسرطان، ومنذ أن هربنا إلى الأردن لم تحصل على جرعات الكيماوي. حالتها تسوء.. حاولنا الهرب ولم نوفق».

وتابعت: «تمكن سكان الخيمة المجاورة من الفرار، لا أعرف إن كانوا بالمفرق أم بالرمثا، لكنهم أفضل حالاً من هنا».

ويبدو أن الشعور بالألم لم يمنع أحمد أبو الشعر (38 سنة) من الفرح والابتهاج ولو لبرهة، عندما حصل على قطع بيضاء تبين لاحقاً أنها كمامات لتجنب الغبار.

وقال «جئنا إلى هنا الأسبوع الماضي قادمين من دمشق، ومنذ ذلك الوقت ونحن ننتظر الحصول على كمامات.. أطفالي سيكونون سعداء بها».

وتحدث باسم (35 سنة) من مدينة إدلب عن تفاصيل قاسية يعيشها لاجئو الزعتري، قائلاً بصوت حزين وهو يربت على رأس طفلته: «الطعام المقدم قليل ومذاقه غير جيد، كما أنه يوزع بطريقة غير عادلة ويتخاطفه الأقوياء ليبقى الضعفاء بلا طعام أو شراب!».

وقال آخر: «نعاني نقص العلاجات ودورات المياه، هنا بالكاد نقوى على الحياة».

وبلغ عدد اللاجئين السوريين المقيمين في مخيم الزعتري حتى نهاية الأسبوع الماضي 6700 من ضمنهم 3 آلاف طفل.

وخلال زيارته المخيم، دعا وزير الخارجية الفرنسي إلى رحيل الرئيس السوري بشار الأسد والانتقال السياسي السريع في سورية. وقال فابيوس للصحافيين «موقف فرنسا واضح: نحن نعتبر أن بشار الأسد هو جلاد شعبه وأنه يجب أن يرحل وكلما رحل مبكراً كان ذلك افضل».

وتابع «نأمل بأن تتم إقامة حكومة انتقالية بسرعة وأن تعترف بها الدول الكبرى في العالم»، معتبراً أن «هذا سوف يسرع سقوط بشار الأسد، الذي أصبح ضرورة واضحة».

وتحدث فابيوس عن أوضاع اللاجئين في المخيم. وقال «إنها تشبه أوضاع اللاجئين في كل المخيمات، وهي صعبة جداً فهم يعيشون في منطقة قاحلة مغبرة»، مشيراً إلى أن زيارته ذات طابع إنساني وإنه يحمل معه أكثر من 20 ألف قناع يحمي الفم والأنف والأذن من الغبار والأتربة.

وفي ما يتعلق بالمعارضة السورية وبخاصة الجيش السوري الحر، قال فابيوس «نحن على اتصال مع بعض مسؤوليها، ونحن نأمل بأن يتمكنوا من تنفيذ أنشطتهم بالتنسيق مع المعارضة».

وما إن شاهد اللاجئون السوريون الوزير الفرنسي يتجول بينهم حتى أوقفوه، داعين بلاده إلى مساعدتهم على القتال.

وصاح محمد الحريري (51 سنة) من درعا وهو أب لعشرة أطفال موجهاً كلامه لفابيوس «نحن لسنا بحاجة لمخيمات ومساعدات، نحن بحاجة للأسلحة، أعطونا أسلحة وقذائف آر بي جي ومضادات طائرات».

وأكد وزير الخارجية الأردني «الموقف الأردني الداعي إلى ضرورة وقف نزيف الدماء والعنف في سورية وضرورة إيجاد حل سياسي»، معرباً عن أمله بأن «يسود الأمن والاستقرار في سورية وأن يتمكن المواطنون السوريون المتواجدون في الأردن من العودة إلى وطنهم».

من جانب آخر، حذر العاهل الأردني الملك عبد الله الثاني خلال استقباله لفابيوس من «تداعيات الأزمة (السورية) وانعكاساتها على أمن واستقرار المنطقة بأسرها»، على ما أفاد بيان صادر عن الديوان الملكي الأردني.

وشدد الملك خلال اللقاء على «الموقف الأردني الداعي إلى أيجاد حل سياسي سريع للأزمة السورية يحافظ على وحدة سورية واستقلالها وتماسك شعبها، ويضع حداً لنزف الدماء وتصاعد حدة العنف».

وأشار إلى «المسؤولية الجماعية للمجتمع الدولي في العمل على إنهاء الأزمة وتجنيب الشعب السوري المزيد من المعاناة».

كما أكد العاهل الأردني أن بلاده ستستمر في تقديم العون والمساعدات وخدمات الإغاثة الإنسانية للاجئين السوريين الذين يفدون إلى المملكة، جراء تزايد حدة العنف في بلدهم».

المصدر: الحياة اللندنية

أوجاع وطن

أحلام طفل بريء

■ محمد علوش

ابن أختي اليوم بيسألني «خالو الجنة كبيرة».. إي كبيرة يا خالي. «يعني بتسع كل الأولاد اللي ماتوا بسوريا»... أكيد يا خالي.

«طيب الجنة كانت فاضية مشان هيك الله موتهم كلهم».. لا يا خالي الجنة ما بتفضى...

«طيب من أقوى الله ولا بشار».. أكيد الله.

«طيب ليش الله ما موت بشار وترك الأولاد يكبروا، بعدين بس يموتوا لحالهم بيفوتوا الجنة».... لأنو الله بدو يريحهم من الدنيا ويحطهم كلهم بالجنة يا خال.

«طيب مين أحلى الجنة ولا صيدا».. لا يا خال الجنة أحلى من كل شي.

«بتعرف أني بدي أظل بصيدا وما بدي أروح عالجنة، لأنو في ناس بدهم يروحوا عالنار»... لا يا خالي ادعيلهم يروحوا عالجنة كلهم.

«أني بدي ادعي انو الله يموت الكبار كلهم ويظلوا الأولاد الصغار بس»

هه ليش ولك.

«لأنو الكبار بيعرفوا يستخدموا مسدسات وهي اللي بتنزل الدم، بس الصغار لاء»... في كبار مظلومين يا خالو، بيموتوا بلا ما يساوو شي غلط.

«طيب مو الكبار اللي اشتروا هاي المسدسات كلها»... إي الكبار بس مو كلهم.

«أقولك بس لا تّعصب.... خرا عليكم كلكم، لأنو انتو اللي اشتريتو المسدسات... لو كانت الدنيا كلها أولاد صغار كنا رح نشتري مسدسات ألعاب مو حقيقية وبتموت»..... عيب تقول هالكلمة خالو.

«يعني عيب أقول خرا، ومش عيب أنو يموتوا الأولاد وأنتو بتتفرجوا»..

عيب بس مو طالع بإيدنا شي.

«مو أنتو اللي بتشتروا مسدسات»... والله يا خالي ما بعرف شو بدي أقولك.

«أوووووف.. خرا على كل شي، يا رب ما أكبر ولا أروح عالمدرسة ولا إشي.. ولا بدي أروح عالجيش، ولا أكون مع الثوار.. بيصير صح»...

لا يا حبيبي ما بيصير، بكرا بتكبر بس كون منيح وكويس.

«هههه والله أني ما بعرف حدا كبير ومليح، كلهم بيكذبوا وبيقتلوا الأولاد، وبيساوا سفالة مع البنات»!!

"كـرز" .. نشطاء من طوائف مختلفة يتوحدون لخدمة سوريا

كفـاح ورامي وزيدون من خلفيات متباينة تماما ولا يجمعهم سوى الهدف

أطلق ناشطون حقوقيون في سوريا حملة على مواقع التواصل الاجتماعي، يطالبون فيها بالإفراج عن الناشطين كفاح ورامي، قبل تسليمهما إلى المخابرات الجوية.

ونشر الناشطون بياناً وقع عليه المئات من المهتمين والمدافعين عن حقوق الإنسان، يحملون فيه السلطات السورية كامل المسؤولية فيما يتعلّق بسلامتهم.

وأعلن الناشطون أنه سيتم رفع البيان بأسماء الموقعين عليه وتقديمه إلى منظمّات حماية حقوق الإنسان العالميّة بما فيها منظمة "هيومان رايتس ووتش".

ويخشى الأهالي والناشطون الحقوقيون الذين وقعوا على البيان من إيقاع الأذى النفسي والجسماني بالمعتقلين كفاح ورامي فكثفوا حملاتهم للمطالبة بالإفراج عنهما.

وقد أطلق الأهالي لقب "كرز" على الناشطين الثلاثة "كفاح علي ديب" و"رامي هناوي" وثالثهما "زيدون الزعبي"، الذين اجتمعوا رغم اختلاف طوائفهم على إغاثة المحتاجين والمتضررين من الأهالي بسبب قمع السلطات السورية للثورة التي امتدت شرارتها لتطال أحياء كثيرة في دمشق.

والتقت الناشطة "كفاح" من الطائفة العلوية، والبالغة من العمر ثلاثين عاما، والقادمة من ريف اللاذقية بالناشط "رامي المنتمي إلى الطائفة الدرزية"، والذي يبلغ من العمر ثلاثة وثلاثين عاما ويعمل في التجارة، لينضم إليهما بعد ذلك زيدون "السنّي" المدرس الجامعي.

انتقل الثلاثة جميعا من دور الإغاثة إلى دور مهم في السلام الأهلي، خاصة أنهم من طوائف متعددة.

وقد جسدت حبة "الكرز" هذه وحدة وطنية حقيقة وفاعلة على الأرض حسب تعبير الأهالي الذين عرفوهم واختبروا مساندتهم.

ولم تشفع براءة الأطفال المرتسمة على وجه كفاح عند خاطفيها، فقامت عناصر من ميليشيات اللجان الشعبية المسلحة والموالية للنظام السوري باختطافها مع زميلها رامي وذلك في بلدة صحنايا بريف دمشق مساء يوم الأحد 5 / 8 / 2012.

وفي هذا الخصوص، يقول زيدون وهو الحرف الثالث من حبة "الكرز" الوطنية السورية: "رامي وكفاح معروفان جداً في دمشق وريفها وحمص ودرعا، لم ألتق بمن في شجاعتهما ومجازفتهما في البذل كرمى لقضية السلم الأهلي ومناهضة الطائفية، كنا ثلاثتنا سوية في الثورة، والناس يثقون بنا ويقولون إنه عندما يجتمع سني ودرزي وعلوي لتشكيل وحدة وطنية من خلال حبة كرز فاعلة على الأرض فإن الدنيا لا تزال بخير".

ويضيف زيدون: "كفاح ورامي من أوائل الذين تحركوا سلمياً، وتميز فريقنا بأننا من طوائف مختلفة وسيرة مهنية مختلفة، ونعمل لمصلحة البلد، شكلنا سوية فريقا توافقت أهدافه على الإغاثة، ونعمل يوميا من خلال الإغاثة على نشر فكر التسامح ونبذ الطائفية بغض النظر عن المهن التي نعمل بها أو الشهادات التي نحملها".

الجدير بالذكر أن كفاح فنانة تشكيلية وكاتبة وقد حازت على المركز الأول بجائزة الشارقة للإبداع العربي في مجال أدب الطفل عن مجموعتها "نزهة السلحفاة"، كما أنه تم فصل زيدون من عمله للتضييق عليه بسبب معارضته وهو الآن متفرغ للعمل الإغاثي وتعرف على رامي وكفاح منذ الشهور الأولى لانطلاق الثورة.

فتاة سورية تروي تفاصيل اغتصابها من قوات الأسد

كنت أشعر بالاختناق وشممت رائحة عفنة وأيد تعبث بي وأذرع تعتصرني

العربية نت: جفرا بهاء

روت فتاة سورية شهادتها عن اغتصابها من قوات النظام على مرأى من أمها. قالت إنها كانت تحت وطأة الاعتداء عليها، تسمع ضحكاتهم وذاقت أبشع أنواع القهر يمكن لأي فتاة أن تعرفه.

وأضافت الفتاة في الشهادة: كنا موثقات جميعنا في الساحة القريبة من بيوتنا، وكذلك كان الأطفال الذين كانوا يبكون خوفاً وهلعاً، أما الرجال فقد نقلوا لأماكن مجهولة.

كنا نصرخ مستغيثات، مرعوبات، "دخيلكن".. صراخ.. عويل وبكاء أطفال، كنت أرتجف من شدة الرعب، ثلاثون شخصا، بل وحشا، بأجساد ضخمة مخيفة، ووجوه ونظرات يتطاير منها الشرر، كانوا مدججين بالأسلحة والسكاكين. أخذوا النسوة وأبعدوهن موثقات مع الأطفال، وكن يستغثن "بعرضكن".

أبقونا نحن الفتيات في الساحة. الحفلة بدأت بي أنا، فك وحش منهم وثاقي، قاومته، شدني من شعري ودفعني إلى الأرض فارتطم رأسي، وعندما صرخت سمعت صوت أمي تصرخ من بعيد "لاا.. لاا... أتركوها، هذه بنت صغيرة، حرام، لها مستقبل، خذوني أنا، أرجوكم".

أمي والنساء يصرخن، ارتفعت أصواتهن بالبكاء والعويل.. والدعاء، يا رب لطفك. كان صراخهن يثير الوحوش، فتزداد ضحكاتهم وشراستهم.

وأنا على الأرض رأيت ثلاثة وجوه تقترب مني ضاحكة شامتة مقهقهة، وأيد صارت تعبث بي وفي ثوان وجدت نفسي عارية، حاولت مقاومتهم، كنت أقاوم وأنتفض كالدجاجة قبل ذبحها، أذرع كثيرة امتدت إلى جسدي كأذرع أخطبوط تعتصرني، شعرت بالهجوم الوحشي على جسدي الذي استكان، فبت هادئة، مشلولة.

كنت أشعر بالاختناق وشممت رائحة عفنة أشبه برائحة الميتة تنطلق من أجسادهم المقرفة. كانوا يتصايحون بقسوة "بدك حرية، هاي حرية، حرية، حرية".

وحش آخر بدأ يضربني على وجهي وجسدي، يلكمني بشراسة، ويدوس بقدميه الهائلتين على صدري، كنت أشعر بعظامي تطقطق تحت نعليه، لسعات من النار في أنحاء جسدي.

أمي، مازلت أسمع صراخها، ضربها أحدهم.. (آخرسي يا أم.....).

تناوب على جسدي المجروح عشرة وحوش بشرية، تناوبوا في امتهاني وتعذيبي.

لم أعد أسمع صوت أمي، وبالتفافة مني أثناء رحلة الاغتصاب وجدتها مرمية مضرجة بدمائها، وقد قطعت رقبتها مع غيرها من النساء والأطفال. قتلوهم جميعا.

لم أكن الفتاة الوحيدة في الحفلة.. كانت هناك أخريات.. عذبن وقتلن أيضاً.

أراد أحدهم أن يجز عنقي كما فعلوا مع الأخريات، صوت وراءه قال: اتركها ألا تراها ميتة تقريبا، إنها تتنفس بصعوبة، نعم كنت بالكاد أتنفس، فقد كسروا أضلاعي تحت وطء أقدامهم فوق جسدي.

بعد انتهائهم من القتل والبطش والاغتصاب، جروا جسدي إلى حاوية القمامة لأموت هناك، (في المزبلة مكانك هنا يا....).

مر الوقت بعد ذلك، ليس سريعاً، كنت عارية جريحة، أتنفس بصعوبة، وأشعر بالبرودة والخواء.

لا نهاية بالقصة

لا تنتهي المأساة بعثور شباب المدينة على الفتاة، ورغم أنها سمعت كلامهم "اللّه لا يسامحهم.. إنها حية"، إلا أنها فضلت أن تغيب عن الوعي بعد أن تركها الحنان الذي سمعته في صوت ذلك الشاب الصارخ "اللّه أكبر عليهم"، تركها في حالة من الجنون الداخلي لا يعطيها القدرة على مواجهة عينيه بجسدها العاري.

الفتاة الآن خارج سوريا، وأدلت بشهادتها حول ما حدث معها بعد أن قضت أياماً وأياماً بالبكاء على روحها وأحلامها ووطنها.

تقول "لم أكن في النزل بمفردي. كانت هناك مجموعة من الفتيات اللواتي تعرضن مثلي للاغتصاب، وعرفت أن هناك من يقدم لنا الدعم والمساعدة، لكن هذا لم يخفف وطأة مصابي وشعوري بالخوف، كنت أشعر بأنني سأفقد عقلي يوماً ما، كانت تنتابني نوبات من الغضب، فأبكي وأصرخ: أين أنا الآن؟ أين أنت يا أبي؟ أين أنت يا أمي؟ إخوتي؟ عائلتي؟".

الصـــوت المعدنـــي لـ«كاتيوشـــا»:
النظام السوري يحرم السكان ألفة الموت بقذيفة «هاون»

■ حازم الأمين

كان علينا أن نعبر طريقاً ترابياً متعرجاً طوله كيلومترين اثنين برفقة المهرب التركي حتى نصل إلى الشريط الشائك الذي يفصل بين محافظتي هاتاي التركية وإدلب السورية. الشريط الذي أقدم مهربون وثوار على قطعه في أكثر من مكان في هذه المنطقة، يُكلف عبوره خمسين دولاراً أميركياً للشخص الواحد بتقاضاها المهرب التركي، فيما الناشط السوري المنتظر على الجهة الأخرى من الحدود يعتذر منك عن تواضع الاستضافة، وعن خضوعه أيضاً لمنطق المهربين السوريين، ذاك أن الانتقال من الحدود إلى بلدة أطمة السورية يتطلب دفع أكلاف انتقال عبر شاحنات المهربين الصغيرة لم يتمكن الناشط من إعفائنا منها.

الخال «ظاظا» أشهر شخصية حدودية سورية هذه الأيام. يستقبل الصحافيين والناشطين من عابري الشريط الحدودي في مكتبه في أطمة، وبعد نحو ساعة من الانتظار بضيافة الخال يصل ناشطون من مدن وبلدات ريفي حلب وإدلب لاصطحاب «الضيوف». «الخال ظاظا» هو مسؤول في الجيش الحر في أطمة، ويملك خبرات في التعامل مع «الضيوف» من خارج الحدود من المرجح أن تكون سابقة على الثورة. إنها خدمات مجانية، لا بل إن أعباء الضيافة والانتقال يتحملها الرجل مترافقة مع شعور بأنه يفعل ذلك كجزء من عمله في «الثورة». إنه «الخال ظاظا» الذي يعرفه الجميع، ويُرسل إليه المهربون الأتراك زبائنهم من الصحافيين فيتحولون ضيوفاً. فها هي ياسمين، الصحافية البريطانية الشابة التي لا تجيد العربية التي لا يعرف «ظاظا» لغة غيرها، مقيمة في منزل عائلة «الخال» مع زوجته وبناته منتظرة أن يسمح لها الرجل أن تغادر إلى حلب، لكنه كما يقول لن يُرسلها إلا مع مجموعة يثق بها، ذاك أنها وحيدة، وهي ولدت لأب بريطاني وأم من حمص. وياسمين ارتدت حجاباً استجابة لطلب «ظاظا» الذي قال إن الحجاب يحمي في هذه الظروف، وتحولت بفعل حجابها والإلفة التي يُشعرها بها الرجل إلى جزء من محيطه، فيما حال الانتظار قبل توجهها إلى حلب عبئاً يبقى تحمله أياماً أمراً ممكناً.

ما إن أقلعت سيارة مصطفى، الناشط المدني الذي حضر لاصطحابنا إلى بلدته بنش، وبدأنا نحاول استطلاع الواقع الميداني في إدلب وقضائها، حتى أدركنا أننا لسنا في الجبهة الخلفية، إنما في قلب جبهة لم نعهد ما يماثلها في الحروب التي شهدتها المنطقة. الجيش السوري الحر لا يسيطر على المنطقة. هو موجود فيها على نحو كثيف وحاسم، لكن خطوط النفوذ مع الجيش النظامي متداخلة وغير نهائية.

علينا أن نسلك في السيارة طرقاً زراعية دليلنا ليس على يقين بخلوها من الحواجز الطيارة التابعة للجيش النظامي. وفي هذا الوقت ستتولد مفارقات الرحلة من حيث لم نتوقع. فنحن قدمنا إلى إدلب من بيروت. رحلة بالطائرة إلى اسطنبول، ورحلة ثانية بالطائرة أيضاً من اسطنبول إلى أنطاكيا، ورحلة ثالثة بالسيارة من أنطاكيا إلى الحدود مع سورية، وهذا ما يولد شعوراً غير حقيقي بأننا في بلد بعيد جداً. لكن إدلب أقرب إلينا بكثير من هذه المسافة. فإن يسألك السائق عندما يعرف اسمك: «هل أنت من القرية الفلانية؟» فإن سؤاله إذا ما عطفته على الرحلات الجوية والبرية التي استغرقها وصولك إليه، سيكون مصدر دهشة فعلاً. ثم إن استعادة حقيقة قرب إدلب العملي من بيروت لن يثبت، إذ إن المسافة الوهمية التي أحدثتها الرحلة الطويلة معطوفة على شعور باستحالة عبور المسافة الفعلية بفعل الحروب الكثيرة التي تفصل لبنان عن سورية سيكون أقوى وسيبقى ملازماً لك طوال الرحلة.

الحرب هنا هي غير ما عهدته من حروب. لن تفيدك خبراتك القديمة بشيء. لا جبهة حرب واضحة، وثمة ما يصدمك بنفسك وبالسكان. قذيفة الهاون تسقط على القرية بيرود، تقتل عائلات بأكملها وتولد خوفاً أخرس لا ينفجر ولا يخرج من نفوس الناس، على نحو ما كان ينفجر ويخرج من نفوس الناس في الحروب التي عهدتها. يموت الناس هنا بصمت، أو بالحد الأدنى من الضجيج. تعبر قذيفة الهاون من فوق رؤوسهم وهم يتناولون الإفطار، يُطرقون رؤوسهم منتظرين سقوطها، ثم يكملون الإفطار، وفي هذا الوقت يأتي زائر أو جار ويقول لهم قتلت العائلة الفلانية، فتتولى سيدة الدعاء على النظام وينتهي الإفطار. قذيفة أخرى لم تنفجر بعد سقوطها، فيعلق شاب: «إنها من صنع إيراني» فلا يبتسم أحد.

ثم إنها غير الحروب التي عهدتها لأسباب تقنية أيضاً. غيث عبد الأحد، الصحافي العراقي الذي غطى حرب بلده مخفياً هويته تارة وكاشفاً إياها تارة أخرى وفق هوية الجماعة التي يعمل في مناطق نفوذها يشعر هنا بأن الأمر مختلف. الصحافي اللبناني الذي غطى حروب الجنوب ذَبر هناك صوت صاروخ الـ «غراد» الروسي الصنع لحظة انطلاقه متوجهاً إلى المستعمرات الإسرائيلية، وها هو يختبره هنا لحظة سقوطه فوق رأسه وفوق رؤوس السكان الذي جاء لتغطية مأساتهم.

ثمة فارق جوهري بين الصوتين، وهنا ستكتشف أن الأصوات التي تُصدرها المدافع في الحروب تؤسس لقابلية الإلفة والفزع وفقاً لمنطق الأصوات والروائح. في جنوب لبنان عندما كنا نسمع صوت الـ «غراد»، أي الكاتيوشا، منطلقاً من الوديان القريبة من قرانا، كان ذلك يُطربنا. إنه «أورغ ستالين» على ما سماه الروس. وكان يصاحب عبوره من فوق قرانا عندما كان يُطلقه «الفدائيون الفلسطينيون» إلى المستعمرات الإسرائيلية، رائحة بارود محترق كانت تبعث فينا مشاعر قوة، على رغم علمنا باستدراجه رد فعل إسرائيلي قاتل سرعان ما كنا ندخل في قلق انتظاره. في سورية، ها نحن أهداف لـ «أورغ ستالين». أي مفارقة هذه؟ صوت انفجار الـ «غراد» ينطوي على ذبذبات معدنية لم نعهدها بما سمعناه من أصوات. شيء من «نيغاتيف» الموسيقى أو من غِلطتها. الصاروخ القديم وغير الدقيق الذي لطالما قمنا بوصل جزءيه قبل أن ينطلق مغرداً فوق قرانا، يسقط اليوم فوق رؤوسنا. صوت انفجاره ليس بالحجم الذي كنا نتخيله، لكن قوته تكمن في معدنيته. صوت انفجار قذيفة الهاون قوي ومزلزل، لكنه يبقى خارجك إذا ما أبقاك حياً، أما صوت انفجار الـ «غراد» فيتسرب إلى جسمك كموجة كهربائية.

ليست الأصوات وحدها ما يُخلف شعوراً بأنها حرب مختلفة. ثمة شيء أقوى من الأصوات تدفعك إلى الذهول. في أتارب، البلدة المدمرة بالكامل في ريف حلب، لم تنقطع الكهرباء عن المنازل المدمرة. عمليات الإنقاذ البدائية التي يُسارع عناصر الجيش السوري الحر للقيام بها في أعقاب كل جولة قصف، يجب أن تأخذ في الاعتبار احتمالات أن يختلط حطام معادن المنازل بالأسلاك الكهربائية التي ما برحت تتغذى بالطاقة، ذاك أن عنصراً من الجيش الحر قتل بالكهرباء في قرية مجاورة أثناء محاولته إنقاذ سكان منزل تعرض للقصف.

وحتى الآن لا أزمة مياه كبيرة في مناطق الحرب هذه، مع العلم أن المياه تصل إلى المنازل «نظامي» على ما يقول السوريون عندما يقصدون أن الدولة هي من يزودهم بها. ولعل كلمة «نظامي» هي من أكثر العبارات تداولاً، إذ يُستعاض فيها عن عشرات من العبارات من نوع: «رسمي، عادي، سلطة، حكومة، مألوف...» وهي تنطوي على معنى سلبي عندما يعمدون للتعبير من خلالها عن أن النظام خارجهم، فالجيش الحر هو جيشهم، فيما الجيش «النظامي» من يقتلهم. وكم تبدو الكهرباء «النظامية» والحال هذه مفارقة عندما تغذي مدناً دمرتها القذائف «النظامية».

لا مواقع ثابتة يستدل من خلالها المرء إلى سلامته، فمرافقونا من عناصر الجيش الحر، ومن الناشطين المدنيين تتفاوت معنوياتهم في الرحلة الواحدة بين دعوتنا إلى الاطمئنان إلى أنهم يسيطرون على كل شيء، وبين طلب قراءة الفاتحة على أرواحنا لشعورهم بأننا نعبر من مناطق سيطرة للجيش النظامي. خريطة السيطرة متحركة وفق الأيام والأوقات. في الليل ينكفئ الجيش النظامي عن أوتوستراد حلب دمشق، وفي النهار السيطرة للأخير، لكن الإفلات منه في النهار ممكن إذا ما قرر المرء المغامرة، على رغم أن الطبيعة ليست مساعدة. وهنا الاعتماد على حقيقة تراكمت في الوعي السوري لم نألفها نحن الذين كنا نعتقد أن السلطة في هذا البلد سلطة مطلقة ومستمرة طوال الوقت. السلطة هنا تغفو ويمكن مواربتها وإلهاؤها، وهذه لعبة يجيدها السكان منذ زمن ما قبل الثورة. الدبابة ليست جاهزة كل الوقت، والضابط الشرير يمكن أن يهون أو أن يغفو. عبر هذه الفتحات الضيقة يتحرك الناس، فينجو منهم من ينجو ويموت من يموت.

كم يبدو غريباً للبناني مثلاً أن يعاين سكان مدينة سراقب وهم يتداولون أسماء الضابط وجنوده الذين يتولون قصف بلدتهم. الضابط من ريف حماة والجنود معظمهم من دير الزور وليس بينهم علوي واحد. العدو بالنسبة إليهم أشخاص وأسماء، وهم سيرسلون اسمه إلى بلدته أو مدينته لأنهم غير قادرين على معاقبته. ثم إن تبديلاً في صفوف الوحدات ينعكس مباشرة على أوضاع مدينتهم. فالأسبوع الذي سبق وصولنا إلى سراقب شهدت المدينة هدوءاً سببه تبديل أتى بقائد للموقع غير راغب لسبب ما بقصف البلدة، فيما الأسبوع الذي أعقبه كان عنيفاً بسبب فظاظة الضابط الجديد.

في اليوم الأخير من الرحلة إلى سورية كانت بنادق الـ «فال» البلجيكية الصنع تتسرب إلى أيدي المقاتلين على نحو منهجي. بنادق طويلة وثقيلة الوزن، وهي مصممة لأجسام جنود قويي البنية وشديدي التدريب. هذه البنادق التي أرسلت من خارج الحدود، لا يعرف جنود الجيش الحر هوية مرسلها، وهي تكشف حقيقة قلة الاكتراث الدولي بمأساة السكان هنا. أرسلت هذه البنادق على نحو ما تُرسل مساعدات غذائية غير منسجمة مع العادات الغذائية للجماعات المعنية بها. كأن ترسل ويسكي إلى أفغانستان بدلاً من العصير. الـ «فال» بندقية صعبة المراس، أرسلتها دول لـ «رفع العتب» على ما قال ضابط في الجيش الحر... «لكن، لا بأس سنحاول أن نُقاتل فيها»، على ما اختتم كلامه.

الحياة اللندنية 17 / 8 / 2012

حربٌ أهلية.. حربٌ طائفية..

تسميات مغلوطة لثورة الحرية

■ ياسر مرزوق

نظرية "حرب الآخرين" وصيغتها الملطفة "الحرب من أجل الآخرين" نظريةٌ كثيراً ما رددها الأشقاء اللبنانيون توصيفاً للحرب اللبنانية وهي نظرية لطالما اعتبرتها تنطوي على مقدارٍ من تحميل الآخرين الذنب وتبرئة النفس وتغذي براءة مجرمة تستسهل القتل وتسوّغه بإلقاء تبعاته على الآخرين، وتحميل الآخرين فقط المسؤولية عما حدث لا يكتفي بقطع الطريق أمام البحث في أسباب الحرب، بل يسعى كذلك إلى قمع أية محاولة للإفادة من دروس تلك الحرب حتى لا تتكرر في المستقبل.

واليوم بينما تعيش سوريا حرباً، خصصت ملفنا الأسبوعي للبحث في ماهيتها وكنهها، وكان لابد لي وقبل البدء في ملفنا من الاعتذار لكل لبناني عما ذكرته سابقاً، فقد تكوّن الحروب وبجزء كبير منها حروباً للآخرين، على أرضنا وبدمّاء أبناءنا، ومستقبلنا، إنها الحرب باعتراف رأس النظام في خطابه أمام البرلمان المنتخب، ليعلوا تصفيق جوقة المصفقين ساعة إعلانها، متناسين أو متجاهلين بأن الحرب نارٌ تأكل الأخضر واليابس، وتطحن الناس كما يطحن الرحى الحبوب وإنها إن طالت حبلت بأولاد شؤم وسوء لن يجلبوا لقومهم إلا المصائب والهلاك، وأنها لا محالة تفضي إلى الفقر والألم والشقاء والحزن، هي عطرٌ منشم دقّ بين السوريين و"مَنْشِم"- بكسر الشين - اسمُ امرأةٍ عطارة كانت بمكة، وكانت قبيلتا "خُزَاعة وجُرْهم" إذا أرادوا القتالَ تعطروا من عطرها، وكانوا إذا فعلوا ذلك كثرت القتلى فيما بينهم، فكان يقال: "أشْأَمُ مِنْ عِطْرِ مَنْشَمٍ"، ويضرب هذا المثل في الشؤم والشر العظيم.

وفي تحليلنا لما يحدث في سوريا، يبقى العنوان الأبرز، أنها حربٌ يشنها النظام على شعبه، موالين قبل المعارضين فالطائرات الحربية التي تقصف المدن والحواضر، لا تميز نيرانها بين طفل أو كهل أو معارض أو موال، السوريون والحالة هذه سواسية في حضرة الموت، وآلة القتل التي يلهبها النظام هي آلة "كافكا" آلة مزودة بمستعرات العقوبات التي ابتكرها عقل جهنمي لتعذيب المحكومين بالإعدام بأقسى ما تفتق عنه العقل المجرم الملوث بعبقرية سادية.. "ماكينة ضخمة معززة بالإبر الفاقئة للعيون والشفرات التي تسلخ الجلد والكلاليب التي تشق اللحم والدبابيس لتغرز في العظم على أن يبقى المحكوم على قيد الحياة، حين انتهى من صناعتها ولأن عقله الملوث بالأنانية.. أراد أن يجربها على نفسه لا أحد يستحق عبقرية هذه الآلة ...بعد أن مر عليها أصناف المحكومين لم يجد من اخترعها سوى حشر نفسه تحتها والاستسلام لما ابتكرت عبقريته"، ولو أن كافكا بيننا لأعاد كتابة الرواية بأشخاص وأسماء سورية، الموجة الحالية في سوريًا كبيرةٌ إلى حد لن تقدر كل أسلحة روسيا المستخدمة من جانب النظام وبطانته على أن توقفها. قد تؤخرها قليلا ولكنها لن توقفها. حتى التأخير الذي نشكو منه فإنه في مقياس الحدث التاريخي تفصيل وإن تكن الآلام هائلة. فالتغيير في سوريا حصل في آذار 2011، ونحن نعيش اليوم نتائجه. النظام هو الماضي فيما رفاق حمزة الخطيب هم المستقبل. النظام اليوم هو من اختار تجربة الآلة آنفة الذكر على نفسه بالنهاية..

هل هي حرب أهلية..

ومع يقيننا بالتوصيف الأول لما يحدث في سوريا يبقى السؤال، هل انزلقت الثورة السورية إلى حرب أهلية بين أبناء الوطن الواحد تساؤلا مشروعا، إلا أن القارئ للتاريخ يرى تلازما بين مصطلحي الثورة والحرب الأهلية، فبحسب المؤرخ الفرنسي "جاك مارسي" هناك أشكال عديدة من الحروب الأهلية، بالسلاح أو سلمياً، مكشوفة كانت أو مقنعة، وهو يطبق هذا المفهوم على التاريخ الفرنسي منذ القرن الرابع عشر؛ ويعتبر شأنه شأن أغلب المؤرخين ومنهم ماركس وإنجلز أن كومونة باريس أو الثورة الفرنسية "حربٌ أهلية في فرنسا". كما يعتبر الحرب التي اندلعت بعد نجاح الثورة البلشفية في روسيا حرباً أهلية، والحرب الأهلية بالتعريف القانوني، حربٌ بين المجموعات التي تنتظم داخل الدولة القومية نفسها، والهدف من جانب واحد قد يكون للسيطرة على البلد أو منطقة منه، أو لتغيير الحكومات والسياسات الحكومية بالمحصلة، وتتميز الحرب الأهلية بوتيرةٍ عاليةٍ للصراع، وكثيراً ما تشارك فيه القوات المسلحة النظامية، كما تسفر عن أعدادٍ كبيرةٍ من الضحايا واستهلاكٍ كبير للموارد والمقدرات.

كما يعرفها البعض على أنها شكلٌ من أشكال الصراع الداخلي في المجتمع، تقوم به جماعة أو جماعات على أسس إثنية أو أيديولوجية من أجل تغيير بعض السياسات الحكومية أو الإطاحة بنظام الحكم أو الحصول على الحكم الذاتي لمنطقة معينة أو الانفصال عن الدولة. ويشتمل هذا الصراع على أعمال عنف مسلح منظم واسع النطاق من جانب جميع الأطراف المشاركة، ويتم تنفيذ عمليات العنف انطلاقاً من مناطق معينة تمثل قاعدة عسكرية محددة لها.

لكن الصيغة الأساسية لتعريف الحرب الأهلية بسيطة، بأن يكون العنف "أهليا"، وأن يكون "حرباً" وأن يكون الهدف منها هو ممارسة السلطة الوطنية أو الاستيلاء عليها. الجانب "الأهلي" يعني أن الصراع يجب أن يحدث داخل الأراضي التابعة للدولة، إلى حد كبير بين الأهالي في تلك الأراضي، وأن يتضمن مشاركة شعبية. والحرب الأهلية يجب أن تكون حرباً- حسب التعريف الوارد في القاموس "صراع عدائي تستخدم فيه قوات مسلحة" كذلك تتطلب الحرب الأهلية قادة يتحدثون عن ماذا يقاتلون من أجله وشعب يفهم كل ما يدور - الانقسامات، الناس، والأهداف، وإذا اعتمدنا التعريف الأخير من الممكن اعتبار ما يجري في سوريا حرباً أهلية بغض النظر عن التفاوت الشديد في حدة القتل والقمع من جهة ومشروعية الهدف من جهة أخرى.

إلا أن القانون الدولي أخيراً أتى بتعريف أكثر نضجاً للحرب الأهلية، اعتمد فيه معيارين، أولهما أن تكون المجموعات المتناحرة من نفس البلد وتتقاتل من أجل السيطرة على الوسط السياسي، أو على دولة انفصالية، أو من أجل فرض تغيير كبير على المشهد السياسي.

أما الثاني، فيقول إنه ينبغي أن يكون مجموع من قُتلوا 1000 شخص، مع سقوط 100 قتيل في الأقل في كل جانب. ولئن كان المصطلح عموماً فضفاضا بحيث يمكنه أن يضم أشكالاً عديدة من النزاعات، فإن أحد أطراف الحرب الأهلية يكون دائماً تقريباً حكومة ذات سيادة. ثمة بعض المؤرخين يختلفون مع تعريف الحرب الأهلية، على هذا النحو، إذ لا يرى "جون كيغان"، الكاتب البريطاني المتخصص في تاريخ الحروب، سوى خمس حالات تاريخية واضحة يمكن أن توصف بـ "حرب أهلية" بحصر المعنى، بدءاً بالحرب الأهلية الإنجليزية في القرن السابع عشر وانتهاء بالحرب اللبنانية في القرن العشرين. أما معاييره، فتتمثل في ضرورة سعي المجموعات المتصارعة إلى السلطة الوطنية، وأن يكون لهذه المجموعات زعماء يعلنون ما الذي يقاتلون من أجله، ويشتبكون في معارك ساحاتها محددة مع ضرورة ارتداء المقاتلين لبدلات قتال.

والرأي السائد في القانون الدولي في الوقت الحاضر عن الحروب الأهلية يقوم على أساس، أن تحديد الحرب الأهلية يعتمد على أن يكون القتال بين المدنيين وليس بين الدولة والقوات المسلحة. فالقتال الذي ينحصر بين أطراف مدنية تسيطر كل فئة فيه على قطعة معينة من الأرض ويكون لها إدارة منظمة علنية، وإذا ما اعتمدنا هذا التعريف تخرج الحالة السورية عن مسمى الحرب الأهلية.

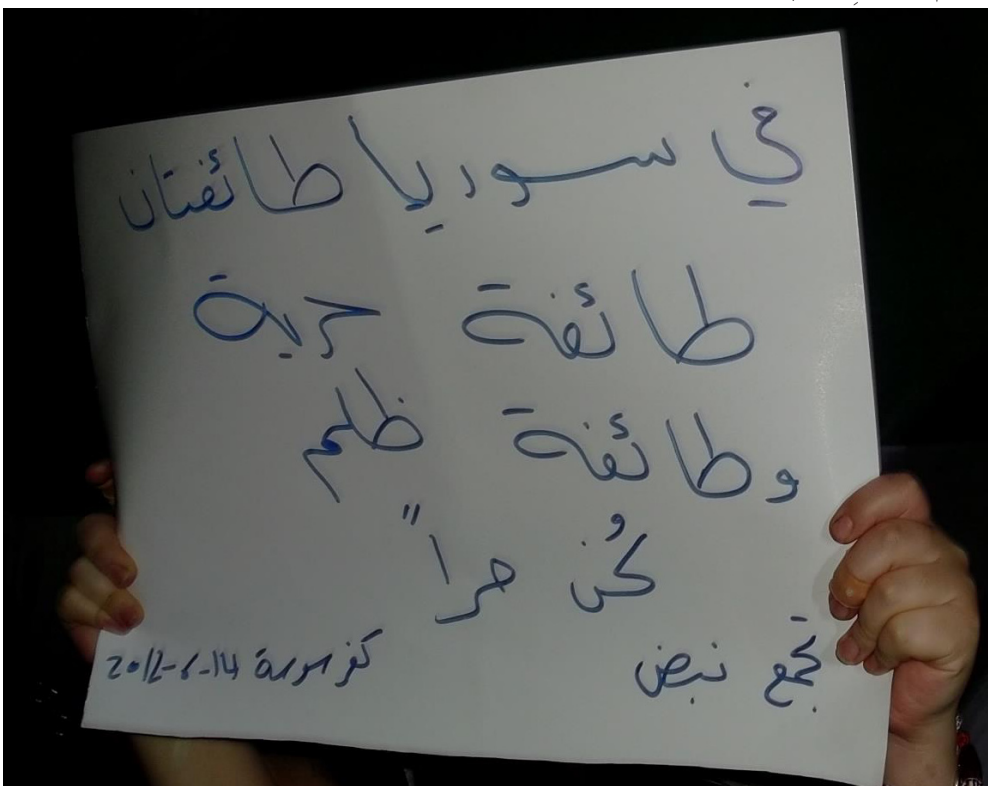

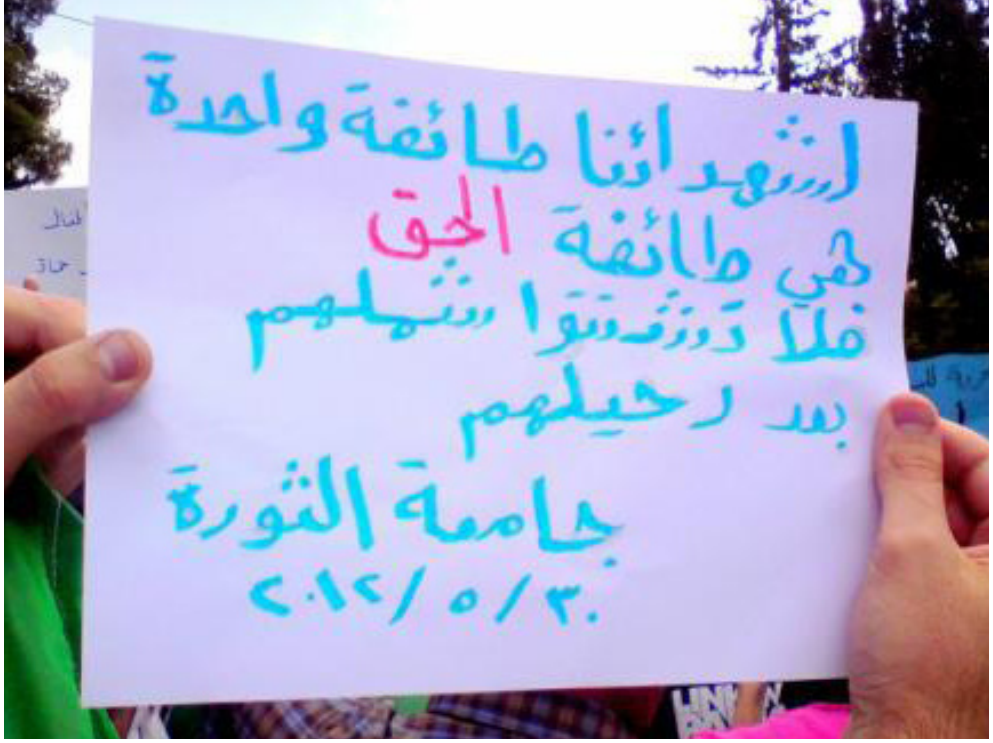

والجدير بالذكر أن أغلب أمم الأرض عاشت حروباً أهلية، ولنا أن نذكر الحرب الأهلية الإنجليزية "1642 – 1649"، الحرب الأهلية الأمريكية "1861 - 1865"، الحرب الأهلية الروسية "1918 - 1921" الحرب الأهلية الإسبانية "1936 - 1939" والحرب الأهلية اللبنانية "1975 - 1990"، هذا وتجدر الإشارة إلى أنه من بين أكثر من 50 حرب أهلية في مناطق مختلفة من العالم منذ 1955، انتهت ٪75 منها بانتصار عسكري واحد "الحكومات سحقت التمرد في ٪40، وسيطر الثوار على الحكومة المركزية في ٪35"، وفي ٪16 منها 9 حروب كانت المشاركة في السلطة، ومنها السلفادور 1992 وجنوب أفريقيا 1994 وطاجكستان 1997. وتُنفذ الاتفاقات بين الأطراف إذا ضمن طرف ثالث عدم انتزاع السلطة بالقوة. ويتم التوصل إلى اتفاق المشاركة في السلطة عندما تتيقن الأطراف المتحاربة استحالة الحصول على مطالبها بالقوة.

هل هي حربٌ طائفيةٌ..

لا يتعيّن أبداً ومن خلال مقاربتنا لما يحدث في سوريا، أن نلجأ إلى نكران أي أثر للطائفية كمشاعر حقيقية، لأنه ما من بلد في العالم، يمكن أن يزعم أن مجتمعه "معقم" تماماً منها. وبدلاً من ذلك يتوجب محاولة فهم العلاقة بين الحرب والطائفية، فالحرب هي التجلّي الأعلى للعنف، ذروته وتجسيده في آن واحد، ولنقل أنها أداته كذلك، إذ لا تُعنى الحرب أي حرب، شيئاً إذا لم تكن هي العنف في ذروته، ويصبحُ العنف نفسه أداةً تستخدمها جماعات مأزومة، أدركت أنها لن تتمكن من حل تناقضاتها بسهولة دون اللجوء إلى توظيفه واستخدامه. وفي الحالات التي يصل فيها المجتمع إلى لحظة الصدام الداخلي، وتتطلع قوى اجتماعية فيه إلى حسم تناقضاتها مع جماعات أخرى بواسطة القوة؛ فإن الطائفية-في هذه الحالة- لن تكون سوى وسيلة من وسائل توظيف واستخدام العنف. ولذلك فليست الطائفية بالضبط تجسيداً للطائفة، أو تعبيراً عنها، كما أنها ليست مرادفاً لها، أي أننا لا نستطيع القول أن الطائفية تعني الطائفة وهي ليست، تماماً تجسيداً لثقافة ومشاعر هذه الجماعة المأزومة، أو تلك التي وجدت أن صدامها مع جماعة أخرى بات أمراً محتوماً، فانزلقت إليه بسبب عوامل داخلية وخارجية. وفي الواقع، ليست الطائفية سوى منظومة معقدة من المشاعر والترابطات الوجدانية الاجتماعية والمذهبية، ومن الثقافة الشعبية التقليدية كذلك، وهي تجمع بقوة حضورها التقليدي في الحياة اليومية وشكلياً، بين أفراد ينتمون إلى مذهب ديني واحد، ولكنهم ينتمون عملياً إلى طبقات اجتماعية ومصالح مادية وعقائد متناقضة ومتصارعة. ترتبط مع بعضها البعض برابطة هشة هي مزيج من المشاعر والثقافة الشعبية والروحية الراسبة والمستمرة.

مما سبق يتضح لنا عدم وجود حرب طائفية بالمعنى المجرد، فأي شكل من أشكال الصراع تحكمه قواعد خارجية وداخلية واقتصادية، يتم إلباسها الثوب الطائفي، بغية حشد الجماعات وضمان تواطؤها على القتل الذي وما إن تنتشر حمى الطائفية حتى يأخذ طابعاً غريزياً له أن يجرد الفرد من إنسانيته، وإعطاء الصفة الطائفية لما يحصل في سوريا هو ما دأب النظام عليه من اللحظة الأولى، فمصطلح الطائفية دخل عالم السياسة في سوريا على لسان مستشارة رأس النظام منذ الأيام الأولى لانتفاضة درعا، والطائفية لعبة يتقنها النظام إلا أنه فشل فيها طيلة السنة ونصف الماضية، ويتفق مع النظام طيفٌ واسعٌ من الإعلاميين الغربيين، كونهم لا يرون مجتمعاتنا إلا كطوائف متناحرة، فبعد أن قضى الصحافي البريطاني "بول وود" ثلاثة أسابيع في سوريا نقل مايلي: "سينتقم الله لنا، "هذا ما سمعته من سكان القرى السنية المحيطة بمدينة حمص، هم أناس يشعرون بالضعف والمرارة وانعدام الحيلة، عندما سمعنا للمرة الأولى بقصص تتحدث عن بشر "يذبحون كالنعاج، وكان ذلك منذ بضعة شهور، بدا لنا الأمر وكأنه نوع من الهستيريا أعيد استخدامها للدعاية. ولكن بمرور الوقت زاد عدد الجثث التي بدت عليها علامات الذبح، كما زاد عدد الشهود، لكن الوضع لم يبلغ بعد حد أن تفنى قرى بأسرها لانتمائها الطائفي، كما لم تشكل بعد جبهات قتال على أسس طائفية. فعلى الجانب الحكومي، ما زال العديد من السنة يحاربون في صفوف الجيش، بل إنهم يشكلون الغالبية، وكذلك هناك بعض العلويين والمسيحيين في صفوف الجيش السوري الحر، ولكن الخطر يكمن في أن تؤدي أحداث كالتي شهدتها الحولة إلى اصطفاف طائفي، فقد دأب النظام على تصوير الانتفاضة على أنها تعبير عن تطلعات الطبقات السنية المسحوقة".

ومع دأب النظام وبعض الإعلام الغربي والعربي على الحشد الطائفي، إلا أن الواقع المعاش يثبت غياب الطائفية عن المشهد السوري شعبياً، فحين يقبض الجيش الحر على قناص في حمص بعد قتله لخمس مدنيين، يتبيّن أنه من الطائفة الإسماعيلية الكريمة، وهي من منظار النسبية أكثر الطوائف معارضة فالسلمية أول مدينة في سوريا تخرج عشرة آلاف متظاهر، وفي الأيام الأخيرة تمت تصفية مجموعة من الشبيحة من آل بري في حلب وهم ينتمون للمذهب السني، وبأستعراض بسيط للمعارضين نرى أنهم صورة واضحة عن المجتمع السوري المتنوع، والوجه الإسلامي للثورة يظهر بفعل الأغلبية العددية للمسلمين، وتركيز الإعلام العربي والغربي على أسلمة الثورة..

لكن أليس نفي الطائفية عن المشهد السوري مجانباً للصواب، في الوقت الذي تمثل فيه طائفة بعينها 40 بالمائة من الجيش وأغلبية ميليشيا الشبيحة الموالية للنظام، وفي الوقت الذي تعلن فيه إيران أن بيروت ودمشق هما مرتبطتان بالأمن القومي الإيراني، وحين يتبجح الأمين العام لحزب الله بأن سلاحه مسخرٌ للدفاع عن النظام السوري، وما أساس علاقة الحزب وإيران إلا المشترك الطائفي. فجمهورية إيران الإسلامية تعرف نفسها حسب نص المادة 12 من الدستور "الدين الرسمي هو الإسلام والمذهب الجعفري الإثناعشري. وهذه المادة غير قابلة للتغيير إلى الأبد..". بذلك تكون إيران أول دولة في التاريخ الإسلامي تعرف نفسها بنص دستوري مكتوب على أساس من هويتها المذهبية. وتتبنى نظرية ولاية الفقيه، وتعتبر نفسها دولة الشيعة في العالم. بدوره يؤكد نصر الله مراراً وتكراراً فخره بأنه يعمل تحت راية ولاية الفقيه. وتحالفات إيران في المنطقة العربية، بما في ذلك سورية، تتم وفقاً لما تقتضيه المادة 12 من الدستور. وكذلك تحالفات "حزب الله". فهل من قبيل الصدفة أن النظام الإيراني شيعي، وتحالفاته الإقليمية محصورة في قوى شيعية، وأن تحالفات "حزب الله" تسير على الخط نفسه..

أرى أن نفي الطائفية عن المشهد السوري هو الصواب بعينه، فعلى الرغم من الكتائب العقائدية، والمجموعات الشبابية الطائفية، تحت مسميات مختلفة، والتي يقوم النظام بحشدها طائفياً، وتدريبها وتسليحها، وتزويدها بصلاحيات القتل والاغتصاب والسلب والنهب والتعذيب دون مساءلة، لتقوم بدور يتجاوز وحشية ودناءة سرايا الدفاع التي شكلها رفعت الأسد في الثمانينات وقامت بفظائع اتجاه الشعب السوري في كل مكان من سورية، والذين يتم تدجينهم وتجييشهم طائفياً تحت راية حرب طائفية صريحة مدعومة ببعض ممن عاشَ على فتات الفساد.. نرى أن ما يحكم هذه القطعان هو الولاء وعبادة شخص بعينه في حين تتراجع الدوافع الطائفية، فمَا الذي يعرفه هؤلاء القتلة عن طوائفهم وما مدى ولائهم واحترامهم لمشايخ الطائفة أو قادتها الروحيين، ولعل المقال الثمين الذي كتبه الكبير "مصطفى خليفة" تحت عنوان "ماذا لو انتصر "بشار الأسد" في تعامله مع الشبيحة بعد إنجاز مهمتهم، والذي سيعمد بحسب خليفة إلى إقصاءهم وتهميشهم واعتقالهم أحياناً، خير توصيف لعلاقتهم مع النظام، وهو هنا لا يتنبأ بل يقرأ التاريخ جيداً عما حصل بسرايا رفعت الأسد فهؤلاء أدوات لا يرتبط النظام معهم طائفياً بأي حال..

أما عن الحرب الطائفية الشيعية التي تشنها إيران وأدواتها من طرفٍ واحدٍ أيضاً، فخير ردٍ عليها هو بيان العلامتين "هاني فحص، ومحمد الأمين" والذين يعتبران من أكبر المرجعيات الشيعية العربية حين أعلنا صراحةً وقوفهما مع الثورة السورية، وخيرُ ردٍ أيضاً ما تناقلته وسائل الإعلام العربي عن الضيوف اللبنانيين "المخطوفين" اللبنانيين التابعين لحزب الله" لدى الجيش الحر كما عرفوا عن أنفسهم ووقوفهم إلى جانب الثورة السورية بعد أن خبروا ما يعيشه السوريون من الداخل..

ولعل أبلغَ ردٍ عليها ما ذكره "وليد جنبلاط" في موقفه الأسبوعي لجريدة "الأنباء" حين تمنى على جليلي أن يهتم بالشؤون الداخلية لبلده إيران التي شهدت بعض مناطقه انتفاضة شعبية عُرفت بانتفاضة الدجاج قياساً لما تعانيه الشرائح الاجتماعية الفقيرة بدل توزيع الترسانات العسكرية هنا وهناك، فقد أصبح سعر الدجاج في طهران أغلى من سعر الصواريخ"..

بين حصول الحرب الأهلية الطائفية حقيقة، والتهويل بالحرب الأهلية الطائفية فارق قلما يُنتبه له في الصراع الدائر في سوريا وحولها حالياً. فإذا كانت الحرب الأهلية واقعةً حقيقية يستدل بها بطوائف تتقاتل طائفياً على السلطة، أو على إفناء بعضها بعضاً، فإنّ التهويل بالحرب لا يغدو أن يكون أكثر من إيديولوجيا تستحضر مخيال وقائع الحرب الأهلية بغية الترهيب والتحشيد خلف خط سياسي ما، أو مسار ما يراد للأحداث أن تمشي به..

سوريا عصيةٌ على الطائفية، ليس ادعاءً بل هو واقعٌ سيخلده التاريخ، وخطابٌ طائفيٌ على مواقع التواصل الاجتماعي هنا وثأر شخصيٌ طائفيٌ هناك لا يجوز إسقاطه على سلوك الجماعة، ما يحدث في سوريا ثورة ملحمية يتواطأ الجميع على اقتطاف ثمارها، وتتداخل الأيدي للنيل منها إلا أننا أمام حتمية التاريخ، قد تطول الأيام وآلام وأوجاع السوريين إلا أن موعدنا الصبح الذي بات أكثر من قريب..

واليوم نختم مع العراق الثائر تاريخياً، ومع الثائر تاريخيا "أحمد مطر" في قصيدة عن رأس النظام في سوريا، أثرت اختزال مقدمتها والاكتفاء بالخاتمة، التي تعج ببشائر النصر، تاركاً المقدمة للقراء ولمحكمة التاريخ..

لا تبكِ يا سوريّةْ.. لا تعلني الحدادَ..
فوقَ جسدِ الضحيّةْ.. لا تلثمي الجرحَ..
ولا تنتزعي الشّظيّةْ.. القطرةُ الأولى مِنَ
الدّم الذي نزفتهِ.. ستحسمُ القضيّةْ..
قفي على رجليكِ يا ميسونْ.. يا بنتَ
بنيِ أميّةْ.. قفي كسنديانةٍ.. في وجهِ
كلِ طلقةٍ وكلِ بندقية.. قفي كأيِ وردةٍ
حزينةٍ.. تطلعُ فوقَ شرفةٍ شاميّةْ..
وأعلني الصرخةَ في وجوههمْ.. حريّةْ..
وأعلني الصّرخةَ في وجوههمْ.. حريّةْ

أدب الستاتوس

■ خلود الزغير

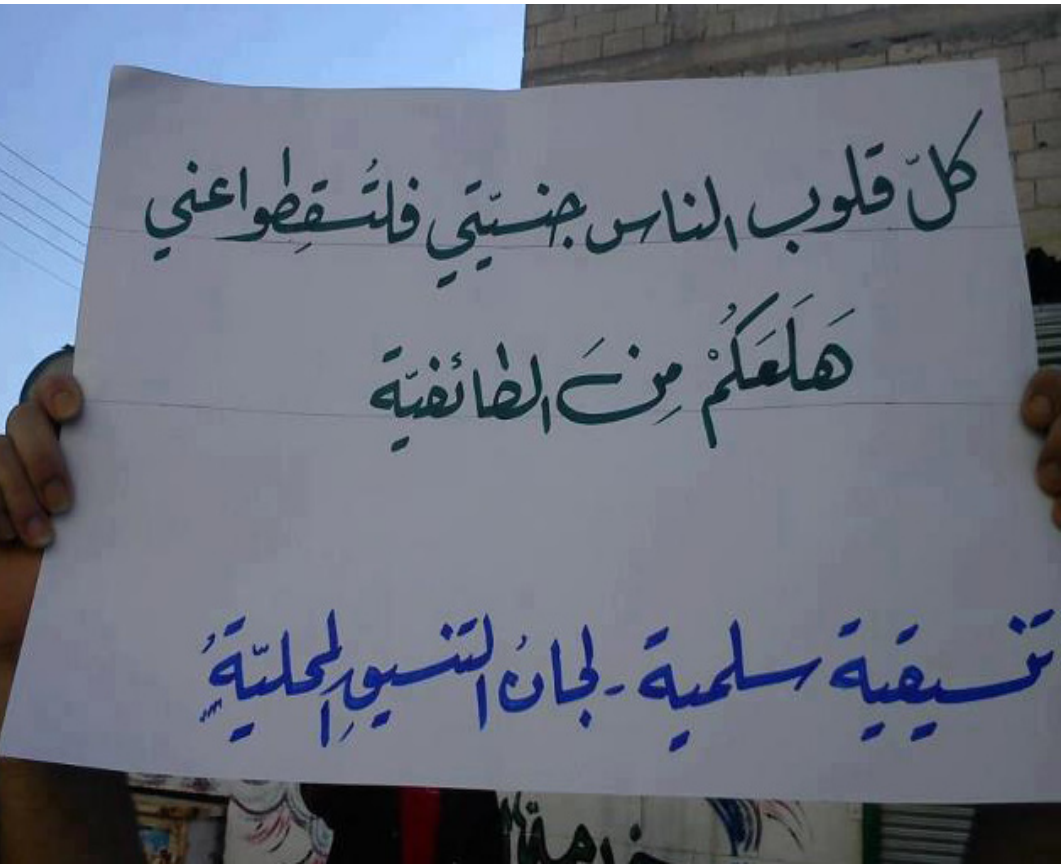

أفرزت كثافة الأحداث / المشاعر للثورة السورية نتاجاً أدبياً جديداً يمكن تسميته "بأدب الستاتوس". يعتمد أولاً: على أحد الوسائل "المادية" التي قامت عليها الثورة ك(الفيسبوك)، وثانياً: يحمل روح الكثافة التي يصنعها الحدث مكانياً وزمانياً وشعورياً أيضاً.

فالستاتوس كنمط أدبي، يعكس، في زحمة الموت اليومي والتظاهر الليلي والنهاري والتخفي وتأمين الإغاثة لمئات الآلاف من المهجرين والمنكوبين والخوف والترقب، حالة ضيق الوقت والنفس لقراءة المقالات الطويلة والتحليلية دائماً. لذلك يصبح القبض على اللحظة وإبرازها للضوء كثيفة ومحددة كومضة وانتشارها أشبه بمظاهرات طيارة تربك وتترك أثرها اللافت إلى جانب الحضور المرافق والثابت للمقالة كنمط أدبي تقليدي.

يظهر الستاتوس كنتاج ثوري أيضاً من حيث تجاوزه للطبقية النخبوية (ثقافية / سياسية / اقتصادية) التي كانت تميز شرائح معينة قبل الثورة كان من الصعب الوصول لها ومخاطبتها وإذا حصل في مناسبة ما سيُفرض على الحوار التكلف والمجاملة.

إن الثورة التي هدّمت فكرة الأب / الرمز على الأرض، جسدها الستاتوس عبر مناخ الحوار الحر والجدل الذي خلقه بين أدباء وسياسيين وناشطين وأناس لم يجربوا سابقاً الكتابة أو النقاش الأدبي أو السياسي. هذا النص المكثف الذي يتناول فكرة محددة بلغة جاذبة للحوار أومستفزة أحياناً، جعلتنا ندخل عالماً أقصينا عنه بفعل الاستبداد. بعد أربعة عقود من القطيعة التاريخية والمعرفية عن فن الحوار والجدل تُعلمنا تقاليد الستاتوس اليوم احترام رأي الآخر بغض النظر عن الآخر واحترام الآخر بغض النظر عن رأيه، ولو بصعوبة وبعد خلافات.

إن أدب الستاتوس وثقافته أطلقت الحوار من أسْر النخب وجعلته مادة متداولة بيد الجميع، ورغم الانزلاقات التي نراها في الخطابات المنتشرة هنا وهناك لكننا ببساطة نعيش الآن مرحلة كَشْف بعد تستّر عَمِل فيه العفن ما عمل، وإذا لم يظهر كل هذا للشمس لن يتم الفرز بين الأصلح للبقاء والأقل صلاحية. هنا تظهر قوة وفاعلية هذا النوع من الأدب الذي نشأ في خضم الثرثرة الفيسبوكية والانفعالات المنفلتة كموازن ومعادل موضوعي لما يقال هباءً.

لذلك، ولأن كل جنس يقاوم فنائه، ظهر بالثورة ميكانيزمات تعمل على توثيق هذه اللقطات الإنسانية الشعرية أو الأدبية أو التحليلية لما تملكه من لغة عالية سواء بروح ساخرة أو متألمة أو عقلانية. فظهرت صفحات مختصة ومؤخراً جرائد تفرد صفحة لما يسمى بأدب الستاتوس، كي لا يبقَ القبض على اللحظة حالة افتراضية عابرة ومن ثمّ منسيّة.

نذكر في السنة الأولى للثورة مجموعات متعددة ومتنوعة من الشباب والمثقفين شكلوا صفحات أدبية ثقافية ليتبادلوا فيها نتاجهم ونقاشهم، لوحظ في الأشهر الخمسة الأخيرة تلاشي بعض هذه المجموعات أو تغيير مسارها العام بعد التصعيد الدموي بخط الثورة. هل اعتقل أو استشهد معظم أعضائها أم طغى صوت السلاح على الأدب والحوار؟

بينما استمر بعضها وتشكل صفحات جديدة عملت على متابعة مجمل ما يكتب سواء من مثقفين وكتاب أو من شباب برزت أقلامهم في فترة الثورة وبسبب اتاحة الفرصة لقرائتهم. أذكر منها مثلاً: صفحة top comment، سوريا في عيون المثقفين وهي صفحة تعمل على جمع الستاتوسات المميزة الخاصة بالثورة لكتاب سوريين وعرب. أيضاً تجمع فناني ومبدعي سوريا من أجل الحرية، صفحة أعلام الحرية، وجرائد مثل: جريدة سوريتنا، عنب بلدي، سوريا بدا حرية خصصت بآخر كل عدد صفحة خاصة بالستاتوس تعتمد على صفحات المثقفين مع اختلاف توجهاتهم.

أما الستاتوس السوري الأبرز في الثورة فكان ستاتوس الكوميديا السوداء، اختصت به صفحات وثقت الحدث/اللحظة من تصريحات شخصيات النظام والمعارضة والمجتمع الدولي وحتى الوجع الشعبي من اعتقالات وموت بلغة مميزة ومخيلة لافتة جعلت من هذه الصفحات أكبر التجمعات للمعارضين والصامتين أيضاً. لكن تميّز حضورها يأتي مما شكلته من دعم معنوي للثوار لا يمكن وصفه ومقارنته إلا بالأعراس الليلية التي يقيمها المتظاهرون بعد دفن شهدائهم. أول هذه الصفحات "مغسل ومشحم حمص الدولي للدبابات" الذي بدأت على إثر نزول دبابات الجيش السوري للشارع بمواجهة المظاهرات السلمية، فكانت الصفحة عبارة عن ستاتوسات ساخرة يكتبها مجموعة أدمنز هم "الشغيلة" في هذا المغسل والمشحم النادر المختص بالدبابات التي أصبحت تنافس السيارات بإنتشارها في شوارع سوريا.

(صفحة الثورة الصينية ضد طاغية الصين وصفحات أخرى: كلنا جراثيم- الثورة القطرية ضد الشيخ حمد وموزة – اضحك مع النظام السوري... الخ)

شخصياً، أنظر للستاتوس من منظورين، الأول كشاعرة، فأراه نمط أدبي جديد كثيف، رشيق، موجع ولا يخلو من بسمة أمل أو فلسفة حياة، يوثق اللحظة على جناحي فراشة أو في قلب حجر.. يشبه الثورة الآن، أما غداً قد يشبه شيئاً آخراً شبيهاً بالغد.. فهو نمط أدبي مفتوح.

المنظور الثاني كباحثة اجتماعية، فأجد أن الستاتوس هو مادة غنية للبحث والتحليل الاجتماعي مستقبلاً، فمنذ الآن ألاحظ جلياً وأرصد أيضاً الخط البياني الكمي والكيفي (بالمعنى التحليلي الاجتماعي للخطاب) لدى بعض الأصدقاء منذ بداية الثورة وحتى الآن. أسئلة ملحة تنتظر البحث والدراسة عن تأثير ظروف الثورة بالخطاب أو العكس، كيف تطورت صياغة الستاتوس وتبدلت عند بعض الأشخاص من السلمية لتشجيع التسلح أو للتحريض الطائفي؟ كيف ولماذا تتكتل مجموعة معينة لتشكل صفحة معينة وما هي الأسس التي تربطها؟.. الخ

الستاتوس قد يكون مجرد فشة خلق لحظة الكتابة ولكن مجرد نشره للعموم يصبح مادة موجهة للجمهور من جهة ومادة تحليل ونقد من جهة أخرى. وفي زمن الثورات الشعبية تبدو النتاجات الشعبية وحواراتها أشبه باللاوعي الجمعي لهذا الشعب بلحظة معينة من تاريخه وهي أكثر لحظاته حميمية وكشفاً وشفافية ولكن ليس أكثرها عقلانية وحكمةً.

الحـــراك الســـلمي في الثـــورة الســـورية

■ ميس قات

فـي كل الثورات فـي العالم هناك دائماً توجه يدعم السلاح، وتوجه آخر يدعم الحلول السّلمية، هو الحال كذلك في ثورة الشّـعب السّـوري.. مع مرور الأيـام بات لسلميّة الثورة السّـورية طابعهـا الخـاص الـذي ربما سـيكون مرجعاً رئيسـياً فـي دراسـات اللاعنف والمقاومة المدنية في المستقبل.

ظهـرت في بدايـة الثـورة كتابات انتشـرت على جـدران المـدن والقرى، ومن ثـم بـدأت المناشـير تتـوزع هنا وهنـاك ومع مـرور الوقت بـدأت تظهر إبداعـات الشـباب... فتحـول البخّ على الحيطـان لغرافيتي يحمل نفسـاً فنيّاً، وتحولت المناشير العادية إلى قصاصات ملونة وإلى شـموع وزهـور توزّع على النّاس في الطرقات، وإلى بوالين تطير حاملةً عبارات الحريـة معها.. لاحقاً بدأ الشباب بتنظيم أنفسهم وصرنا نسمع بمجموعـات سـلميّة تعمـل بشـكل سـريّ، شـباب نفـوس كرام، وشـباب الأسبوع السوري، وتجمع نبض، حركة شـباب 17 نيسان، وشـباب أيام الحرية وغيرها..

بـدأت الأفكار تظهر على السـطح فيسـتيقظ الدمشقيون يوما ليتفاجؤوا ببحرات مدينتهم ملونة باللون الأحمر، ويصعقهم فـي يوم آخر صوت هتافات القاشـوش تملأ فضاء حاراتها.. تتكرر المفاجآت فـي الفنادق وفـي المقاهي في الجامعـات وفي الدوائـر الحكومية وإداراتها.

يظهـر مجسـم للرئيـس الأسـد مشـنوقاً علـى جسـر الثورة بدمشـق ويتكـرر المشـهد فـي أكثـر من تسـع مناطـق في نفـس الوقـت.. ويتفاجئ قـادة السـيارات كل صبـاح بالطرقـات والشوارع غارقة بدهان أحمر يذكرهم بدماء الشهداء والأطفال..

ينظّـم الشـباب أنفسـهم بينمـا تتسـارع الأيـام حاملـةً معهـا المزيـد مـن الحـزن.. الألـم.. الحمـاس.. والابتسامات..

المفاجآت لم تقتصر على عمليات نوعيـة يومية يقوم بها شـباب الثورة، إنما حـاول هـؤلاء التأثير علـى الناس ودفعهـم للمشـاركة عـن طريق طرح حملات كحراك الأنوار السلمي الذي كان يدعو أهالي دمشـق إلـى إطفاء أضواء بيوتهـم لمدة دقائق معـدودة في يوم معيـن تعبيراً عن مشـاركتهم الرمزية في الثورة السورية. حملات تم إطلاقها لارتداء لون أبيض أو اسود والمشي في شـوارع معينة من العاصمـة، ومن ثم الحملات نفسـها في الجامعات. حملات ممنهجـة لمقاطعة المـاركات التجارية والصناعيـة التـي يناصـر أصحابهـا النظـام السـوري، الحمـلات انتشـرت على الانترنت (الفيس بوك والمدونات) ومـن ثم تمت طباعة أعـداد هائلة من المناشـير للترويـج للحملـة ولاقتـراح بضائع من ماركات أخرى.

انتشرت حملة تغيير أسماء الشوارع بقوّة في سـوريا، حيث دعى النشـطاء إلـى تغيير أسـماء الشـوارع والمرافق العامة من أسـمائها التي تجعلك تشعر أنك تعيش فعلاً في مزرعة لبيت الأسد إلى أسـماء مأخوذة من رسـائل ثورتنا وقيمهـا وأسـماء شـهدائها ورموزهـا، ظهـرت علـى الفضائيـات فيديوهـات تصور الشـبان أثناء تغييرهم لأسـماء الشوارع والمدارس كما عمل العديد من الشبان على تغيير الأسماء على خرائط الغوغل، كل ذلك لم يتـم اعتباطاً إنما تمّ بعد نشـر أسماء الشوارع والمرافق البديلة المقترحة من قبل التنسـيقيات المحلية.

بدأت لاحقاً دعـوات خجولة لإقفال المحـال التجارية في دمشـق لسـاعات معينة وقد لاقت الحملات تلك استجابة جيـدة فـي مناطـق معينة واسـتجابة ضئيلـة فـي مناطـق أخـرى، ومن ثم ظهرت دعـوات أخـرى لمقاطعة الدوام في الجامعات تبعتهـا دعوات لمقاطعة امتحـان التربيـة القومية الاشـتراكية ويعتبـر شـباب اللاعنف في سـوريا أن هذه الدعـوات والحملات كانـت تمهيداً للدعوة لقيام عصيان مدني شامل في البلاد والذي تمت الدعوة له لاحقاً.

حملة أوقفوا القتل نريد وطناً لكلّ السوريين كانت حملة مزلزلة لمناصري العنف من طرف شباب الثورة تماماً كما كانت مُغضبة لمناصري النظام، ارتدت ذات الرداء الأحمر فسـتانها ووقفت في شـوارع دمشـق حاملة عنـوان الحملة مكتوبـاً علـى لافتـة كبيـرة، ووزعـت الصبايـا زهـوراً حمراء مرفقـة بأوراق كتبـت عليهـا نفـس الجملـة، وهتـف الشـباب المدنيّ المناهض للعنف في اعتصاماتـه ومظاهراته لوقـف القتل والاعتقال في سوريا.

الشباب المدني الرافض لاستعمال السلاح هو من سيكون قادراً على إعمار سـوريا القادمة، ومن غيـر المتخيل أن يسـتطيع مـن تلوثت يـداه بـدم - أيّ كان- أن يشـارك بتقديـم مـا هو خير لبلده.

صوت الرصاص دائماً ما يعلو على صرير القلم، لكـن للحروف قوّة تغيير أكبر، هـذا ما يؤمن به شـباب اللاعنف في سوريا، وهذا ما أرادوا إيصاله للعالم كله عبر نضالهم لشهور طويلة.

سلمية، سلمية..
اللّه محيي الجيش الحرّ

■ شيرين الحايك

قلّما يمرّ يوم دون أن نسمعُ أحدهم ينتقد تسلّح الثورة السورية بشدّة، وآخر يبرهنُ، متعالياً، بأنّ توقعاتهُ حول التسلّح تفضي إلى الواقع، مؤكداً: لسّا ما شفتو شي، وثالثٌ يشاركُ فيديو عن عمليّة ما للجيش الحر ويصرّ بأنّ هذا لا يمثله ولا يمثل الثورة وأخلاقها، بين كل هؤولاءِ وغيرهم كثر، قلّما نسمعُ رأياً واقعيّاً من وحي الشارع فمعظمهم طوباويون جداً في تعاملهم مع المسأله، وعندما أقول معظمهم أعني المدافعين عن السلمية بتطرّف.

تكتب إحدى الصديقات على تشات الإيميل الخاص بها عبارة قد تبدو ساخرة للوهلة الأولى " سلمية، سلمية.. اللّه محيي الجيش الحر" وأعتقدُ بأنّ هذه الجملة، على بساطتها، تعبّر عن حال الثورة أكثر من الكثير من عبارات التغني بالسلمية وحدها والتعامل بتعال مع من يحمل السلاح متناسيين أن معظمهم حملهُ مرغماً. أعتقدُ في بعض الأحيان بأنّ من يزاود على السلاح في سوريا يشبه تماماً من يترفّع عن دعم الثورة السورية بحجّة أنّها مؤامرة قطرية أو بحجّة التدخل السعودي - الخليجي في الملف السوري السياسي. السلاح لم يكن خياراً بل حاجه للدفاع عن الوجود، فعندما كان، في الأشهر الأولى من الثورة، خياراً لم يكن المختار! نعم معظمنا كان يتوقع بأنّ أعداد الموت سترتفع بحمل السلاح، ومعظمنا كان يعي بأنّ هذا سيعطي النظام حجّة قويّة بوصفنا بالمسلحين الإرهابيين، وو.. ومعظمنا كانَ مصيباً في توقعاته، لكنّ حاجه البقاء أقوى من العقل وأقوى من التوقعات وأقوى من أحلام الثورة الرومنسية بسلميتها التي تصبح عبثية في مواجهة فوهة دبابة أو رصاصة قناص.

عندما لم يعد هناك خيار أصبح السلاح هو الخيار، ليس أنهُ الأفضل فأنا أراهن أنّ معظم من يحمل السلاح يعي بأنّه ليسَ الخيار الأفضل إنما الوحيد لأنه بات وجهاً إلى وجه مقابل الموت العشوائي، وبعد أن تدخل لعبة الحياه ضمن القياسات يصعب أن يستمرّ المقياس المنطقي، الحيادي في القيادة. وهنا، لا يهمني الدّفاع عن حملة السلاح أو تسليح الثورة، فكاتبة هذه السطور مازلت، حتّى تاريخ كتابة هذه السطور، تؤمن بأنّ السلميّة هي الحل وتؤمن وتشجع الممارسات السلمية للكفاح والعصيان بكل أشكالها، لكنّ مع هذا أؤمن بأنّ رفض التسلّح دون تقديم أيّ بدائل، مزاودة فارغه وغير حقيقية، كما وأنّ تحميله المسؤولية بإرتفاع عدد القتلى من المدنيين دون عن المتظاهرين هو أمر غير عادل على الإطلاق، ليسَ أنه ليس حقيقيّ، لكنه ليس العامل الوحيد وليس السبب المباشر، إجرام النظام، هو، دون منازع، العامل الوحيد والأوحد، المجازفه بأعداد لا منتهية من المدنيين بحجّة القبض على عدد من مَن يطلق عليهم النظام "إرهابيين" هو السبب المباشر وهو الإجرام الحقيقي، فحتى لو كانوا إرهابيين حقاً، هذا لا يبرر كل هذا القتل، وبذا هي ليست مسؤولية من يحمل السلاح لأنهُ مثله كمثل العديدن، ضحيّة عبرت إلى ضفّة النهر المقابلة.

مع قول هذا، يجب أن لا ننسى أيضاً بأنّ هناك الكثير من اللصوص والمستغلين ممن يحملون السلاح و"يشبحون" بإسم الثورة أو يقومون بإعتداءات ما، ولا ننسى أيضاً بأنّ ما يعرف بالجيش الحر لا يتبع لقياده حقيقية تمكنهُ من أن يكونَ قادراً على خوض المعركه، لا يمتلك عتاداً أو سلاحا، وفي كثير من الأحيان قد يبدو شريراً، بمفهوم الشرّ، بشكل خاص عندما تعلن السعودية بأنها على أستعداد لدفع أجور شهريّة لقياديي الجيش الحر أو عندما يقوم عدد من أفراده بتصوير فيديو عن إعدام ميداني لأحد شبيحة النظام، أو فيديو تعذيب آخر وسحب إعترافات منه، وغيرها من الفيديوهات والأخبار التي تنتشر عن الجيش الحر والتي أتت نتيجة حمل السلاح من قبل جماعات تجهل احداها الأخرى وفي كثير من الأحيان قد تقاتلها أيضاً وهذا بإعتراف بعض القيادات اللامعه في الجيش الحر.

هذا كلّه واقع مثله كمثل جمال الثورة عندما تحافظ على الورود التي زرعها غياث مطر على الطرقات مع زجاجات المياه تحت شمس آب الحارقة كي يشرب منها رجال الأمن، رجال الأمن نفسهم من قتلوه.

السلمية كانت، ومازالت وستبقى منارةً في الثورة السورية، فحتّى السلاح، حُمل في أوّل ما حُمل في محاولة المحافظه على السلميّة وحماية المظاهرات السلميّة، لكنّ التطرّف للسلميّة من قبل البعض، بشكل خاص إبان المجازر التي تحصل بشكلٍ شبه يومي، يبدو وكأنه استهزاء بأرواح من قتلَ ومن بقيَ. فالتطرّف في السلمية، مثله كمثل أيّ تطرّف، يقوم بإقصاء الآخر وإلغاء وجوده ومنطقيّة حجته من عدمها، ويفرضُ نفسهُ ويفرض أفكاره بتعالٍ متدعياً بأنهُ يمتلك الحقيقة، كلّ الحقيقة، وعلى الجميع أن يتبعه ويؤمن به، دون حتّى أن يقدم آلية حقيقية للعمل.

عندما نتحدث في هذا الصدد أذكرُ ما قالهُ باسل شحاده، المخرج السينمائي الذي استشهدَ برصاص النظام الوحشي، عندما اتجه من دمشق إلى حمص قائلاً بأنّه على من ينادي بالسلمية أن يكونَ في وسط المعركة وأن يحافظ على سلميته، وهذا ما فعله الممارسات السلمية لا يمكن أن تكون بشكلٍ نديّ بالمواجهة مع السلاح ولا يمكن لها أن تكون على كفّة الميزان معه، إمّا هذه أو تلك، السلمية هي نهجٌ عام يمكننا من خلاله السير في أيّ إتجاه والمحافظه عليه، فحتّى التسلّح نفسهُ يمكنهُ أن يحافظ على هذا النهج فيما لو تمّ إنتزاعهُ من المواجهة المباشرة والمقارنة الصرفة مع السلميّة وكأنّ واحده ستنتصر وتلغي الأخرى.

السلمية كانت ومازالت وستبقى هي الحل، برأيي، أمّا التسلح، فكان ومازال الشرّ الذي لا بدّ منه للوصول إلى الحلّ في ظل غياب أيّ شيء آخر.

ختاماً: سلمية سلمية، اللّه محيي الجيش الحر!

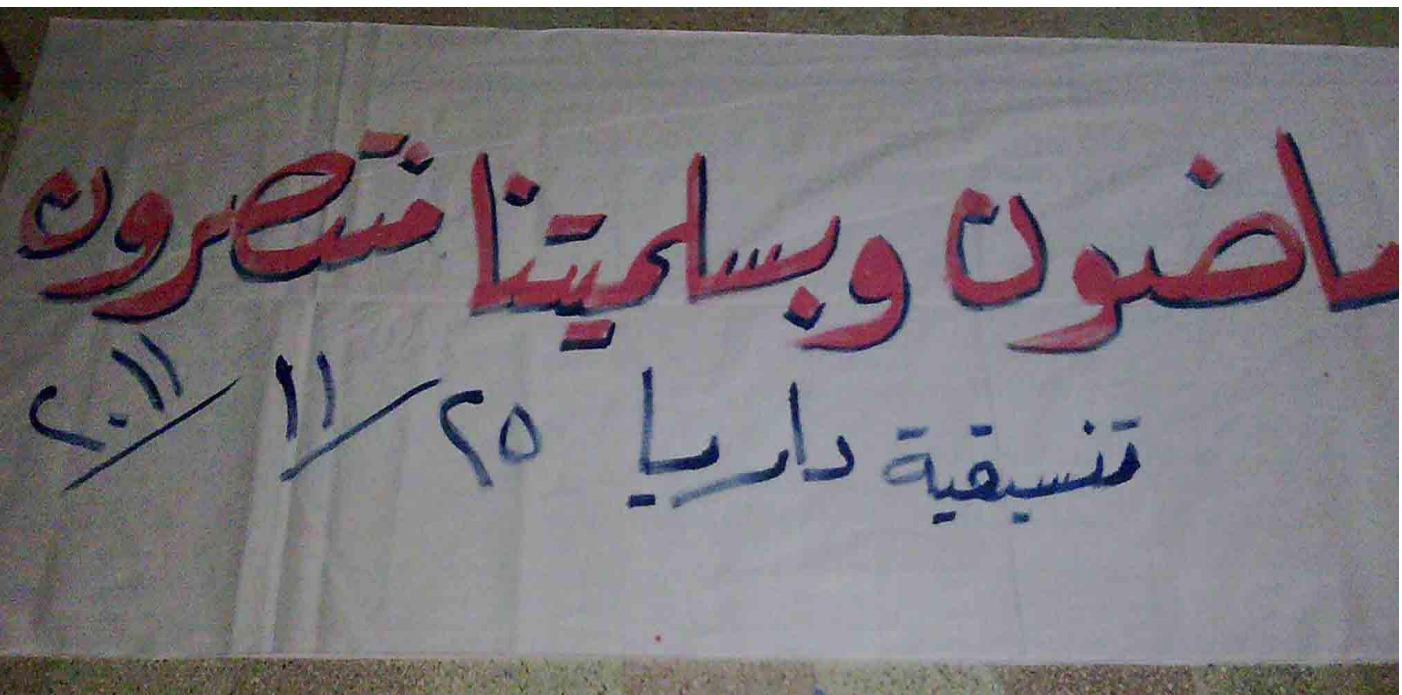

تجربة شباب داريا السلمية من العام 2000 حتى الآن

■ عهد زرزور

داريا البدء

لم تكن داريا المدينة الصغيرة القريبة من دمشق (8كم جنوب غرب) حديثة العهد في مجال التوعية الاجتماعية والنشاطات الأهلية،

ففي عام 2003 نشأ التحدي بينهم وبين النظام، بما يعرف بقضية "شباب داريا". تعرض مجموعة من الناشطين للاعتقال على خلفية تنظيف المدينة، وتوزيع روزنامات كتب عليها عبارات ضد الرشوة والتظاهر السلمي الصامت احتجاجاً على احتلال العراق ودعوة لمقاطعة البضائع الأمريكية وغيرها من الأنشطة التي لم تكن مألوفة في ذاك الوقت في سوريا.

وسبقها في العام 2000 أنشاء الشيخ عبد الأكرم السقا مع مجموعة من طلابه مكتبة عامة للقراءة والثقافة وسميت باسم "سبل السلام" ولكن ما لبثت أجهزة الأمن إلا أن قامت بإغلاقها بعد إقبال الناس عليها.

داريا الثورة

كانت داريا من المناطق التي دعت للتظاهر في يوم الغضب السوري، وشارك عدد من أبنائها في اعتصام 16 من آذار أمام وزارة الداخلية، حيث اعتقل منهم ثلاثة شبان وفتاتان، ثم انطلقت أولى التظاهرات في شوارع المدينة في 25 آذار 2011 من مسجدي أنس بن مالك والعباس.

لم يتجلى الطابع الثوري في مدينة داريا فقط برفع أغصان الزيتون والورود في المظاهرات، بل فكرهم السلمي كان واضحاً في خطاباتهم وشعاراتهم التي استخدموها في ثورتهم. فكانت فكرة توزيع المياه والورود والمنشورات للجيش مخاطبة ضمائرهم، وكانت فكرة تزيين ساحة الحرية بداريا تأكيد على الناحية الجمالية والاجتماعية في الثورة.

تنوعت نشاطات الكفاح السلمي في داريا والأساليب اللاعنفية، من تغيير أسماء الشوارع والساحات الرئيسية واستبدالها بأسماء الشهداء إلى توزيع المنشورات للدعوة للإضراب فقد كانت داريا من أوائل المدن التي استجابت لهذه الدعوات.

وتقديم الهدايا لأمهات وأبناء الشهداء والمعتقلين في عيد الفطر والأضحى وعيد الأم وزيارة عائلات الشهداء وتقديم الدعم المادي لهم كانت جزءً أساسياً من نشاطهم الثوري. أقيمت في داريا أيضاً دورات الدعم النفسي للأطفال المصابين بالصدمة، ودورات الإسعاف الأولي في ظل تحوّل عملية إسعاف الجرحى إلى المنازل والمشافي الميدانية، بدلاً من المشافي العادية خوفاً من اختطاف المصاب من قبل قوى الأمن.

تعليق صور المعتقلين وأسمائهم على جدران المحكمة وفي الشوارع العامة و حملات بخ شعارات ثورية على الجدران وإطلاق بوالين الحرية كانت أيضاً صوراً متكررة من صور النشاطات اللاعنفية.

داريا الأنثى

ولنساء داريّا دوراً رئيسياً في الحراك السلمي، فقد شاركن بغالبية النشاطات الثورية وقد قمن بتنفيذ مشروع معرض ميداني أطلق عليه اسم "نريد المعتقلين" حيث صنعن حبالاً من الورود علقت عليها صور المعتقلين وقمن بتعليقها على أشجار شوارع داريا الرئيسية، وقد لقي هذا المعرض إقبالاً من قبل المارة لكن ما لبثت عناصر المخابرات الجوية أن جاءت ومزقت الصور وأحرقتها.

داريا السلم والعيش المشترك

قام شباب داريا بحماية العديد من المنشآت العامة والمؤسسات الحكومية من التخريب عن طريق جدار بشري يصنعه المتظاهرون أنفسهم وقد كانت هذه من أهم الأفكار التي حاولت ترسيخ مبدأ اللاعنف بين القوى الأمنية والمتظاهرين ونشره بين المتظاهرين أنفسهم. وكانت عملية إشعال الدواليب ورمي الحجر باتجاه الأمن محل خلاف في نقاشات الناشطين، فقد كان بعضهم يعتبر هذه الأفعال استفزازاً للجنود الذين سيقفون حينها موقف المواجهة ويعيشون أجواء الحرب على الآخر. كما شارك أهالي داريا في التشييع والتعزية بشهداء المناطق الأخرى وإرسال المعونات المادية لأهالي المناطق المنكوبة واستقبال الأهالي المهجرين من حمص، لتعزيز السلم الأهلي بين المناطق، و لا ننسى أنه منذ بداية الثورة قرعت كنائس داريا أجراسها حداداً على شهداء المظاهرات.

جريدة داريا

جريدة عنب بلدي كانت نتاج الحراك السلمي هدفها طرح أفكار نادراً ما يتم التطرق إليها، وإيصالها لطبقة واسعة من الناس لا يدخلون الانترنت، تناقش الجريدة قضايا ثورة واجتماعية واقتصادية.

داريا لا تعرّف الثورة بالسلب

شباب المدينة ونشطاؤها لا يقتصر الأمر عليهم على إسقاط النظام بل بناء سوريا الجديدة، سوريا دولة القانون، مدنية للجميع، يستوي فيها الناس أحرار.

السوريون وإرادة الحياة

■ خالد كنفاني

رغم الحقيقة القائلة بأن السوريين على اختلاف ثقافاتهم وأطيافهم وخلفياتهم الاجتماعية يتكلمون في السياسة من أوسع أبوابها، ورغم أن أي مجموعة من السوريين قادرة على رسم سياسة العالم خلال جلسة أرجيلة وتحليل المعطيات والأخبار وتقرير مصائر الدول أثناء وليمة عشاء بسيطة، ناهيك عن الوعود التي اعتاد أي سوري أن يطلقها للآخرين فيما لو أصبح رئيسا "ليوم واحد فقط"، أقول رغم ذلك كله فإن السوريين بشكل عام شعب يحب الحياة والإعمار والزواج والإنجاب والاستقرار وليسوا ميالين للفوضى والتغييرات الكبيرة المفاجئة.

أسوق هذا الكلام وأنا أشاهد تقريراً لقناة عربية عن الناس في إحدى بلدات الريف الحلبي. كان عدد من الشبان يعيدون ترميم محالهم التي كسرها "حماة الديار" ونهبوها ولم ينسوا أن يحرقوها أثناء طريقهم الطويلة إلى "التطهير". كان أحد الشبان يتكلم بثقة بهرت كل من شاهد التقرير، كان يقول ببساطة شديدة: "لديّ عائلة وعليّ أن أعمل لكي أطعمهم"، كل ذلك يحدث وسط أزمة اقتصادية خانقة وشحّ رهيب في كل شيء. كان الناس في هذه البلدة يمشون في السوق المتواضع وبعض الأمهات يشترين لأطفالهن ما استطعن عليه من بعض الحاجيات قبل العيد الذي يطل على السوريين بأتعس حال وأسوء مطلع. يستقبل هؤلاء العيد القادم على أصوات المدافع وتحت قصف طيران الموت ولكنهم يقتنصون أية فرصة لعيش يوم واحد طبيعي دون هروب أوخوف أو ذعر.

إن هذه الإرادة العجيبة في الحياة تفرض حقيقة هامة مفادها أن الكثير من الأعمال العنيفة أو الدموية لا يمكن دوما نسبتها إلى السوريين فقط، مثلما أن طول أمد الأزمة قد يطبع السوريين بطابع جديد من العنف لا نريده ولا نسعى إليه. ومع الأيام يثبت لنا أن البطء المتعمد في التعامل مع الثورة السورية في الخارج وكذلك التضارب المقصود في المواقف هدفه إشعال هذا البلد وتحويل السوريين من سكينتهم وسلامهم الداخلي إلى مجموعات عنفية لا تتقن سوى السلاح ولا تفهم سوى لغة الدم. ومع استمرار التجاهل العالمي لكل ما يحدث في سوريا تسير البلاد نحو منزلق خطير دخلت أوله بالفعل، ويوماً بعد يوم يعتاد السوريون وغيرهم على مشاهد الدم وأخبار القتلى والجرحى في ساحة معركة مفتوحة على كل الاحتمالات.

حدث تحول خطير في مسار الثورة السورية عندما دخل السلاح على الخط. والمراقب للأحداث السورية منذ أكثر من ثلاثة شهور يلحظ تراجعاً واضحاً في أعداد المظاهرات لأن الشوارع أصبحت تعجّ بالمسلحين من كل الأطراف. وهكذا تمّ تحويل القضية من ثورة شعبية في وجه نظام فاسد إلى حرب بين طرفين (أو أكثر من طرف) مع فارق العتاد ومستوى التسليح. وهكذا سحبت البندقية الشرعية الثورية من أيدي المتظاهرين لتحملها على عاتقها تحت حشد إعلامي ضخم وتجهيز فعلي بسيط. وتوالت النكبات على المدن السورية بسبب من سوء التخطيط (أو عدم المعرفة به أصلاً) والارتجالية والحماسة القتالية والتي لا يوجد من يضبطها ولا من يوجهها، وكأن القصد هو الإلقاء بمزيد من البشر نحو الموت دون أية نتائج عملية ضخمة. تتبنى أكثر من جهة اليوم عدداً من التفجيرات والاغتيالات في كافة أرجاء سوريا وتخرج التصريحات المتناقضة هنا وهناك، تارة من اسطنبول وتارة من بعض المدن أو الأحياء الملتهبة، ويقف السوريين مذهولين أمام حجم الدمار الذي باتت تخلفه هذه الحرب التي أصبح واضحاً أنها تجري بالوكالة على الأرض السورية.

ثقافة جديدة بدأت تدخل على حياة السوريين هي ثقافة الخطف. لم يعد الأمر مقتصراً على الأجهزة الأمنية التي كانت صاحبة الريادة في هذا الأمر، ولكن الخطف يمتد ليشمل الجيش الحر والفصائل المسلحة الأخرى وحتى مجموعات من المرتزقة في معظم أنحاء سوريا. الخطف بعضه سياسي وبعضه الآخر بتوجيهات خارجية واضحة وأكثره من عمل عصابات وجدت في الأمر وسيلة للتربح وجمع الأموال. لم يعد مهما لدى السوريين من يقوم بالخطف، ولكن المرعب في الأمر أن المسالة تحولت إلى روتين يومي أيضا ولم يعد السوري اليوم يعلم لماذا يتم خطفه وعلى أي أساس، لأن المعيار لم يعد الموقف السياسي وحسب، وإنما امتد إلى الانتماء الطائفي والعشائري والديني والذي لا يملك إنسان خياره بيده.

وسط كل ذلك تتواصل المهازل الدولية سواء في الشرق والغرب. وتواصل حسناء الخارجية الأمريكية جولاتها بينما وزير دفاعها البشوش يتحدث عن إمكانيات واحتمالات وتكهنات، هي مجرد كلمات يلقيها هنا وهناك حتى يتلقفها أغبياء المعارضة الذين لا يزالون يعوّلون على المجتمع الدولي الساقط أخلاقياً وأدبيا منذ زمن بعيد. لا يزال نفر من هؤلاء يرى أن بعض الاجتماعات والخطب الرنانة سوف تسقط النظام السوري وتحملهم إلى مقرات الحكم في سوريا مثلما فعلت المعارضة العراقية بعد صدام. كانت بعض التسريبات الصحفية في اليومين الماضيين تؤكد بداية يأس القوى الكبرى من المجلس الوطني السوري رغم الملايين التي وصلته من هذه الدول ولكن بدا واضحا أن فاقد الشيء لا يعطيه، وأن هؤلاء الذين لم يمارسوا سياسة ولا إدارة على مدى عقود قد احترفوا الكلام والكلام فقط. فلما حان وقت العمل لم تسعفهم عضلاتهم الضامرة ولا عيونهم التي اعتادت السبات الشتوي الطويل. وكانت جريدة الغارديان قد نشرت تقريرا مطولاً عن تحول بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة بعض الشيء عن المجلس الوطني بعدما بانت عوامل فشله الذريع في مجرد جمع الكلمة. وكالعادة كان رد المجلس الوطني على هذه التقارير رداً مقتضباً خاطفاً (على اعتبار انشغالهم بحجوزات الفنادق والطيران) بأن "الغارديان تهذي"، في إنتاج جديد للردود الرسمية السورية على تصريحات مماثلة من صحف وقنوات "مغرضة".

يفاجئنا الملك السعودي كالعادة بصحواته غير المتوقعة، فقد رأى جلالته في إحدى تلك الصحوات على ما يبدو أن يدعو رؤساء الدول الإسلامية إلى وليمة إفطار عملاً بالمثل القائل: "طعمي التم تستحي العين" وارتأى -طال عمره- أن يجمعهم الآن وفوراً لقمة تضامن إسلامي لم يعرف الكثيرون وخاصة في جزر القمر والسنغال ونيجيريا وجيبوتي معناها ولا مبناها. وهكذا تمّ إخلاء معظم فنادق مكة المكرمة وتم بكل بساطة إلغاء كل الحجوزات المسبقة (في سبيل الله) وتمت إقامة وليمة فطور مهيبة سبقتها آيات القرآن لمباركة هذا الجمع الذي قد يصيبه حاسد في مقتل والقهوة المرة التي كانت تطوف على المدعوين خشية أن يناموا أثناء إلقاء جلالته كلمته التي استحلف بها الحاضرين أن يتضامنوا. كانت الوليمة مهيبة إلى حدّ أن أحد المشاهدين يقول أن عيونه اغرورقت بالدمع على هذا الجمع الحاشد أنه استبشر بتحرير المقدسات قريباً. ما أقصر ذاكرتنا وما أسهل خديعتنا! وبعد ساعات من الاجتماع خرج المجتمعون بقرار تاريخي زلزل أركان الدنيا وفجر قنبلة في وجه النظام السوري لن يسعه أن يتحرك بعدها أبداً، لقد تمّ تعليق عضوية سوريا في المنظمة. ارتاحت نفوس المنظمين والحاضرين، فعلى الأقل لن تذهب الوليمة سدى، وأطنان الطعام التي تم رميها في القمامة بعد الوليمة كافية لإطعام سوريا بأكملها. ولم ينسَ المجتمعون أن "يشجبوا" قتل المسلمين الروهنغا في ميانمار التي تحكمها اليوم واحدة من أقدم المناضلات في مجال حقوق الإنسان، ولكنه كرسي الحكم الذي باركته السيدة كلينتون ولن تجرأ دولة خليجية واحدة على مجرد إدانة أمريكا لدعمها نظام الحكم في ميانمار.

يبدو أن قراراً اتخذ في كل دول العالم مفاده أن لا تتم تسوية الأوضاع في سوريا قبل أن يفنى كل شيء، البشر والحجر والجيش والبنى التحتية والفوقية، حينها سيدخل علينا الفاتحون المبشرون بحياة جديدة على أيدي شركات المقاولات وإعادة الإعمار. وما طول أمد الثورة وتشعب أزمتها إلا ملامح لهذا المستقبل الغامض الذي يتم رسمه لهذا الوطن الجريح. في كل انفجار وكل معركة تروّج لها قناة العربيّة يستبشر الناس بقرب الخلاص ولكننا نفاجأ بمزيد من التعقيدات ومزيد من القتل والدم في كل مكان. ذهب أعضاء خلية الأزمة وخلية النحل وفقد ماهر قدميه وانشق البطل المغوار حجاب وطار طياران إلى الأردن وهرب أكثر من سبعمائة ضابط إلى خيام تركيا الحضن الحنون ليقودوا حرب الريموت كونترول من هناك، كل ذلك ولم يسقط هذا النظام. تكشف إحدى الصحف الأمريكية أن تقارير تمّ رفعها للرئيس أوباما تفيد بأن العقوبات الأمريكية على سوريا لم تضرّ النظام فقط بل والمعارضة أيضا. فهم إذا يعلمون تماما أن العقوبات طالت الناس ولم تطل النظام في شيء، لأن الجميع يعلم ومتأكد من أن بشار الأسد لم يجلس لحظة واحدة في ظلام ولم يقف دقيقة واحدة في طابور لشراء جرة غاز. وتخرج التحليلات علينا يوميا لتخبرنا عن الانتخابات الفرنسية والأمريكية وها قد انتهت الأولى ولم يتغير شيء وستنتهي الثانية ولن يتغير شيء إلا بأيدي السوريين أنفسهم.

السوريون يريدون الحياة ولا يريدون الموت، يريد الواحد منهم أن يرى أطفاله يكبرون ويتعلمون ويصلون إلى ما يطمحونه في هذه الحياة، ومهام عملت آلة القتل فيهم فإنهم باقون والحكم زائل. ستكون الطريق طويلة ومليئة بالأشواك والعثرات والسقطات والدماء والتضحيات، ولم يكتب التاريخ إلا هكذا. لم يكن التغيير يوما ما ناعما وسهل المنال، وسيفخر أولادنا بما فعل آباؤهم مثلما يفخر آباؤنا اليوم بعد أن قام أبناؤهم بما عجزوا عنه في وقت ما.

آخر الكلام: يقول جستن جاردر:

"إن الحياة والموت يلتصقان ظهراً لظهر.

فمن المستحيل أن نشعر أننا أحياء إذا لم نفكر أيضا بأننا نموت يوماً، كما أننا لا نستطيع التفكير بموتنا، دون أن نحس"، وفي اللحظة نفسها بالمعجزة الغريبة، معجزة كوننا على قيد الحياة.

لم أنتبه إلى الآن، إلى أي مدى هي الحياة جميلة."

كيف شوه النظام السوري العلاقة بين الاقتصادي والسياسي؟

■ تيم الشامي

في الدول الديمقراطية التي يعتمد بقاء الحاكم فيها على مدى إرضائه وتلبيته لحاجات المواطنين، تكون السياسة هي وسيلة لتحقيق الحاجات المختلفة للدولة والشعب، وعلى رأسها الحاجات الاقتصادية، فيكون القرار السياسي خادماً للمصلحة والحاجة الاقتصادية وليس العكس، كون الهدف الأساسي من العمل السياسي هو تحقيق الرفاه والعيش الكريم والأمان للدولة المتكونة بشكل أساسي من مواطنيها.

ومن الأمثلة التي توضح هذه الفكرة هي العلاقة السياسية بين الدول الأوربية وروسيا، فعلى الرغم من كونهما على طرفي النقيض في السياسة الدولية، إلا أنهما يحافظان دائماً على مستوىً مقبول من العلاقة الجيدة البعيدة عن التوترات، والسبب في ذلك هو حاجة أوربا لروسيا من أجل تزويدها بإمدادات الغاز، وحاجة روسيا لأوربا من أجل تصريف منتوجها من الغاز.

هذا النوع من العلاقة بين القرار السياسي والاقتصادي ليس موجوداً في سوريا، على الأقل في السنين الأخيرة التي تولى الحكم فيها بشار الأسد، حيث كانت من أول الخطوات التي سميت بالإصلاحية في عهده تحرير السوق السورية، وبدأت بالسماح للقطاع الخاص بالدخول إلى الكثير من المجالات التي كانت محرمة عليه قبلاً، ولعل أهمها على الإطلاق هو القطاع المصرفي والتأمين، وخرجت عملية التسعير من يد الدولة كما كان الأمر عليه أيام ما سمي بالاقتصاد الاشتراكي، وبات اعتمادها من الآن وصاعداً على العرض والطلب بشكلٍ أساسي.

في سوريا ما قبل الثورة كان القرار السياسي يلعب الدور الأساسي في تحديد النهج الاقتصادي الذي تسير فيه الدولة، وقد شهدت السنوات القليلة التي سبقت الثورة السورية تخبطاً اقتصادياً واضحاً، وذلك من خلال إطلاق القوانين الناظمة للأنشطة الاقتصادية المختلفة، وتعديلها وحتى في بعض الأحيان إلغائها بعد شهور قليلة، وقدم النظام حينها التغييرات الاقتصادي التي يقوم بها تحت مسمى "اقتصاد السوق الاجتماعي" والتي كانت تسمية لبقة لانتقال سوريا تدريجياً من الاقتصاد الاشتراكي المقيد إلى الاقتصاد الرأسمالي.

في تلك المرحلة اتخذت الكثير من القرارات اللامسؤولة اقتصادياً بهدف تقوية تحالفات النظام السياسية الخارجية أو تثبيت قدمه داخلياً، وكان من أهم تلك القرارات قرارين أثرا سلباً على الاقتصاد السوري بشكل ملحوظ، أولهما هو العلاقات الاقتصادية مع تركيا، وثانيهما هو التراجع عن توقيع اتفاقية الشراكة مع الاتحاد الأوربي.

العلاقات السياسية بين النظام السوري والحكومة التركية التي يسيطر عليها حزب العدالة والتنمية تطورت بشكل ملحوظ، ومع الاختلاف بين النظرة المشوهة التي يملكها النظام السوري لكيفية اتخاذ القرار الاقتصادي والنظرة بعيدة الأجل التي كانت تملكها الحكومة التركية حينها اقتصادياً، فقد اختلفت كيفية اتخاذ القرار واختلفت معها نتائج هذا القرار على كل من البلدين، فالحكومة التركية التي يسيطر عليها حزب إسلامي لم تأبه بالخلاف القديم بين سوريا وتركيا بسبب دعم النظام السوري لحزب العمال الكوردستاني ومطالبته سابقاً بلواء اسكندرون المحتل، والأهم لم تأبه بالعداوة التقليدية بين تيارات الإسلام السياسي والنظام السوري، ووضعت المصلحة الاقتصادية على رأس أولوياتها، في حين ضحى النظام السوري بالمصلحة الاقتصادية في سبيل تعزيز تحالفاته الإقليمية إثر انهيار الكثير منها بعد اغتيال رئيس الوزراء اللبناني رفيق الحريري وتداعيات هذا الاغتيال.

هذا التعاون الاقتصادي غير المتوازن الذي حصل كخدمة للسياسة الخارجية للنظام تسبب بكوارث حقيقية على النظام السوري، وكانت أكثر الصناعات تضرراً منه هي صناعة النسيج التي لم تستطع منافسة الإنتاج التركي الذي غزى الأسواق السورية وخلق منافساً لم يكن موضوعاً في الحسبان، الأمر الذي تسبب بتقليص الكثير من معامل النسيج لحجم إنتاجها وحتى إعلان عدة شركات إفلاسها وإيقاف عمل مصانعها.

وهناك حادثة تحكى بهذا الخصوص، أن مجموعة من التجار والصناعيين كانوا في لقاء مع نائب رئيس الوزراء للشؤون الاقتصادية حينها عبد الله الدردري، وطالبوه بأن يجد حلاً لسهولة دخول البضائع التركية إلى سوريا، فكان جوابه بأن هذا القرار هو قرار سياسي صرف، ولا قدرة له على إلغائه أو تعطيله أو تعديله.

القرار الثاني الذي اتضح منه تشوه العلاقة بين القرار السياسي والاقتصادي هي تراجع سوريا في العام 2009 عن توقيع اتفاقية الشراكة الأوربية قبل ساعات من الموعد المقرر لتوقيعها، وحينها قالت مصادر دبلوماسية في وزارة الخارجية أن السبب في التراجع عن توقيع الاتفاقية هو حاجة الحكومة السورية لبعض الوقت لتراجع بنود الاتفاقية، وكان لرفضها لهذه الاتفاقية أسباب سياسية بحتة.

الشراكة مع الاتحاد الأوربي تفرض على البلد غير الأوربي حداً أدنى من الشفافية والإصلاح السياسي، وإثبات التزام البلد بحدٍ أدنى من حقوق الإنسان، ولم يكن النظام مستعداً لتقديم تنازلات وتخفيف قبضته الأمنية على الشعب السوري في مقابل الحصول على اتفاقية شراكة مع الاتحاد الأوربي كان من شأنها أن تقدم دفعة قوية للاقتصاد السوري.

وفي الوقت نفسه فقد كان الاتحاد الأوربي يحاول أن يضعف أو يفك الشراكة القوية التي بين النظام السوري والنظام الإيراني، ولم يكن ذلك ممكناً بالنسبة للنظام، الأمر الذي جعله يضحي بالشراكة الاقتصادية مع الاتحاد الأوربي الذي يحتوي ثلاثة من أكبر اقتصادات العالم (فرنسا، ألمانيا، بريطانيا) مقابل شراكة سياسية واقتصادية مع إيران أحد أكثر دول العالم تعرضاً للعقوبات الاقتصادية، والتي اليوم بلغت حداً باتت تجد فيه صعوبة في تسوية حساباتها المالية المتعلقة بتجارتها النفطية.

مع بداية الثورة السورية وتفاوت مواقف الدول منها ومن سلوك النظام القمعي قام من جديد بالتضحية بالكثير من الآمال الاقتصادية مقابل التعنت والإصرار على مواقفه السياسية، فمثلاً كانت من أول الدول التي وقع على صدام معها دول خليجية (خصوصاً قطر والكويت) هي من أهم المقرضين لسوريا من أجل تمويل مشاريعها التنموية.

من التغييرات الأولى التي يجب أن تطرأ على السياسة الخارجية السورية بعد تحقيق المطالب بدولة ديمقراطية، هي استقلال القرار الاقتصادي، وعدم تعريض رزق المواطنين ومواردهم المادية للخطر من أجل تصفية حسابات سياسية، وتعزيز تحالفات لا تفيد أحداً سوى الحاكم في المكوث مطولاً على سدة الحكم، فالديمقراطية تعني حكم الشعب وفقاً لإرادته ومصالحه، والأخيرة تلقى من الأنظمة الديكتاتورية إهمالاً لا يقل عن إهمالها للأولى.

بوابات أرض العدم

■ سمر يزبك

(إلى أبو الشوك: صبّارة قلبي، يا ولدي)

البوابة الأولى

ـ ونحن نريد دولة مدنية!

كان اليوم الأخير، وقبل ساعات من زفرات الرحيل، على حاجز كتيبة «الفاروق» والشاب الصغير، الذي تلمع النجوم في عينيه، يروي وهو يبلع ريقه كيف انشق عن «الوحدات الخاصة»، لأنه رفض قتل الناس، ثم يتابع الحديث: يعني أنا كيف سأرمي نفسي في الموت، من يريد الموت؟ لا أحد! لكن كنا موتى... ونريد أن نعيش.

كانت السماء زرقاء.

لا شيء يعكر صفونا، لا نبعد عن بلدة «سرمدا» إلا قليلاً، تركناها وراءنا مع جدرانها الملونة بعلم الثورة.

ـ ونحن نريد دولة مدنية، يعيد الشاب الأكبر سناً جملته. يقول لي الشاب الآخر: «يلعن أبو هالضباط، كلهون علويين! ينظر إليه الآخر: لأ هو كلهون!»

أنصت إليه، وهو يروي لي قصة انشقاقه للمرة الثانية، فيقترب صديقه منه، ويهمس بإذنه شيئاً ما. الشاب الصغير ذو العينين اللامعتين والغرة العسلية، ينظر إليّ مذهولاً، يرخي سلاحه على الأرض، ثم تنكسر نظرته، حدّقت في عينيه المرتجفتين، وبقي سلاحه على الأرض، ثم أدار وجهه.

كانت السماء لا تزال زرقاء، والجبل الحجري الذي خلفناه وراءنا، يحدق بصمت، لكنني أستطيع سماع طقطقة ما، حين أدار الشاب وجهه نحوي، كان يعضّ على شفتيه، قال بصوت مرتجف - هو نفسه الشاب الذي كان يقف على حاجز مسلح، ويحمل سلاحه، ويشهر غضبه في وجه السماء -: سامحيني يا خالة، والله ما كنت بعرف.

وجهه الطفل، عاد إلى بدائية عذبة، والشباب الذين يحملون السلاح تحت الجسر، ينظرون إلينا بفضول، كان علم أبيض يرفرف بالقرب منهم ومكتوب عليه: لا إله إلا الله، محمد رسول الله. واثنان منهما يطلقان لحية طويلة.

كانت السماء لا تزال زرقاء، لكن الجندي الذي صار طفلاً، اقترب مني وقال متلعثماً: أنا ما بكره حدا بس هن كلاب بدهون يانا نقتل الناس... سامحيني يا خالة.

وقف الأكبر سناً إلى جانبه، كانت عيناه تحدقان بغضب وأعاد جملته من جديد: نحن نريد دولة مدنية، أنا في كتيبة الفاروق، وأريد دولة مدنية، وأنا طالب تجارة سنة ثانية.

لم يطل بقاؤنا معهم، استمع إليهم، وأقول: ما في مشكلة... حصل خير! لكن الشاب الذي صارت عيناه أقل لمعاناً، مصمم على أن يشرح لي، بعد أن تحول إلى طفل، أنه لم يقصد إهانتي، قلت له قبل أن نرحل مع ثلاثة شباب: لكنني لست علوية، وأنت لست سنّياً، أنا سورية، وأنت سوري، وخلص.

نظر إليّ بدهشة، فقلت له: متل مو شايف! وأشرت إلى وجهي.

كنت أبرطم في السيارة، ونحن نغادر حاجز كتيبة «الفاروق»: من يحتاج التطمين هنا؟ من يريد أن يبني وطناً من دم ونار، هذا الجندي المنشق الذي تحول إلى طفل؟ أم أولئك القتلة؟ وكان الشباب ينظرون باستغراب إليّ، ولا يفهمون شيئاً مما أقوله.

كانوا يضحكون. من أين تنبع قوتهم؟ من الغريب منّا عن معنى الحياة؟ من الأكثر التصاقاً بجوهر العيش؛ نحن، أم هم؟ الذين يعيشون في حضن الموت ويلتهمونه كلقمة سائغة في ضحكاتهم، التي قد تبددها في لحظة رائحة دمائهم، أو أشلائهم المبعثرة. هم مجرد وهم في عقول الناس؛ أن تقول «جيش حر» يعني أن تتخيل جيشاً، لكنهم هم أنفسهم من يمكن أن تصادفهم في الشارع، هم مجموعات متباينة في التوجه والصفات، في القسوة والرحمة، مختلفون في الانضباط بأخلاق الثورة، والانفلات عنها، لا يحملون صفة التشابه في ما بينهم، ولا توجد قيادة موحدة لهم عكس ما يظهر في الإعلام، المشكلة أن هناك عدم فهم دقيق لطبيعة المقاومة المسلحة التي نشأت في المدن والريف، حيث صنعت كل مدينة مقاومتها على طريقتها، وهي آلية عمّت المدن الثائرة. لم تتشكل الكتائب من الجنود والعسكر فقط، المدنيون حملوا السلاح للدفاع عن بيوتهم ضد القتل والدمار.

كتائب «الجيش الحر» هي نسخة عن حياتنا وتنوعها، فيها تفاوت شاسع، الفارق فقط أن موتاً بخفة ريشة يتبختر بينها، وأن توصيفها الأكثر واقعية هو كتائب «المقاومة الشعبية المسلحة».

لا أعرف السبب الذي جعلني أبدأ الكتابة عن بوابات أرض العدم، بالحديث عن آخر حاجز مسلح قبل مغادرتي، والجندي المنشق الذي تحول إلى طفل، لكنني كلما أغمضت عيني، انفجرت صورة الجندي الصغير المنشق، الذي رمى سلاحه ليعتذر لي عن ذنب لم يقترفه حقيقة، وهو أن «الخالة» التي أمامه، كانت من طائفة ضباطه في الجيش.

كانت البوابة الأولى تمر عبر المستشفى المحاذي للحدود التركية -السورية، هناك طابق خاص بالسوريين الذين يتم إسعافهم بعد القصف، غرف متجاورة، لكنها تحمل رائحة من يتمددون على الملاءات البيضاء، بأقدام مبتورة، وأذرع مقطوعة، وعيون حالمة. تطير أعضاؤهم سابحة في الفراغ. قال لي أحد الشباب أن أتماسك، ونحن ندخل غرفة طفلتين: «ديانا» ابنة الرابعة، و «شيماء» ابنة الحادية عشرة.

«ديانا» التي استقرت رصاصة في نخاعها الشوكي، وسببت لها إصابة دائمة بالشلل، كانت تستلقي باستسلام مثل أرنب أبيض مذعور. كيف لم تهشم الرصاصة جسدها الهش الصغير؟ هذه معجزة! بماذا كان يفكر القناص حين صوب رصاصته إلى ظهر طفلة تعبر الشارع لشراء حلوى للإفطار؟

قالت لي نساء البلدة لاحقاً، إن القناص نفسه قام باستهداف امرأة في عضوها التناسلي، وهو القناص نفسه الذي قتل طفلة في الثانية عشرة من عمرها يوم مغادرتي البلدة. وهو القناص نفسه، الذي اضطر الشباب لجعلي أدخل بين البيوت، لتجنب المرور في الشارع، الذي يطل عليه.

كانت أبواب البيوت مفتوحة أمامنا، نقفز من نافذة، ثم إلى سلّم في أسفل الدار، ثم ندخل صحن دار آخر ونحمل أحذيتنا، ونحن ندخل البيوت الغريبة، العجوز التي اجتزنا بيتها، ونحن نمر في غرفة الجلوس، ألقينا عليها السلام، وردت وهي مستلقية، من دون أن تتحرك، كانت معتادة على مرور أهل البلدة، لقد فتحوا أبوابهم، وجعلوا من بيوتهم شوارع لهم، تجنباً لذلك القناص. نظرت إليها، وأنا أقفز من النافذة، علّي ألمح استغراباً ما، كانت لاهية عني بالنظر إلى السقف، وكأنها لا ترانا نحن الثلاثة.

إلى جانب «ديانا» كان سرير «شيماء» التي بترت ساقها القذيفة، فاجأتها مع أهلها يجلسون أمام البيت، قتل تسعة من أفراد عائلتها، حتى أمها أيضاً. كانت عمتها تقف إلى جانب السرير، «شيماء» تنظر بعينين غريبتين، فيهما رجاء وغضب، ابتسمت أخيراً عندما وضعت أصابعي على جبهتها. يدها اليسرى أصابتها شظية وتعرضت للتفتت، وكانت لفافة بيضاء تحيط بحوضها، تنتهي بأعلى فخذها. الفراغ يحتل مكان الساق المبتورة. الفراغات تحدد شكل العضو البشري الناقص، نحن ناقصون بالكمال. نحن كمال النقصان، لا كلام يقال لهذه الصبية الصغيرة ذات العينين الساحرتين، قدمها الأخرى مصابة أيضاً، وهناك إصابات متفرقة في كل أنحاء جسدها.

لا كلام سوى أصابعي على جبهتها وابتسامة صماء بيننا، لم تكن «شيماء» و «ديانا» وحدهما في هذا الطابق، في الغرفة المجاورة شاب ينتظر أن تُبتر ساقة بعد أن فتتتها قذيفة، يضحك بعينه قبل وجهه، وشاب آخر ينتظر أن تشفى قدمه من شظية، ليعود إلى سورية ويقاتل، كان قائد مجموعة، لكنّ وجهه يبدو أقرب إلى صورة عارض أزياء.

ما مشكلة القذائف مع الشباب والجمال؟

في الممر، كانت كل أعضاء السوريين المتروكة خطأ في ترابها، تفتقد الفراغ. الشباب الذين يرقدون أنصاف أجساد ممزقة، ينظرون من نوافذ المستشفى القريبة من رائحة البلاد. هناك حيث عبرت الخطوة الأولى للدخول في أرض العدم، وحيث بعد قليل سنلمح السماء حين تشتعل بالقذائف فوق رؤوس البلدات النائمة، وحيث سنتناول أول عشاء لنا، مع إحدى الكتائب، بعد «تفتناز» هناك حيث سأنظر مذهولة إلى وجه الشباب، وهم يضحكون حين تمر القذائف فوق رؤوسنا.

الحياة اللندنية | 17 / 8 / 2012

المرسوم التشريعي رقم 276 للعام 1969 المتعلق بالجنسية العربية السورية

■ ياسر مرزوق

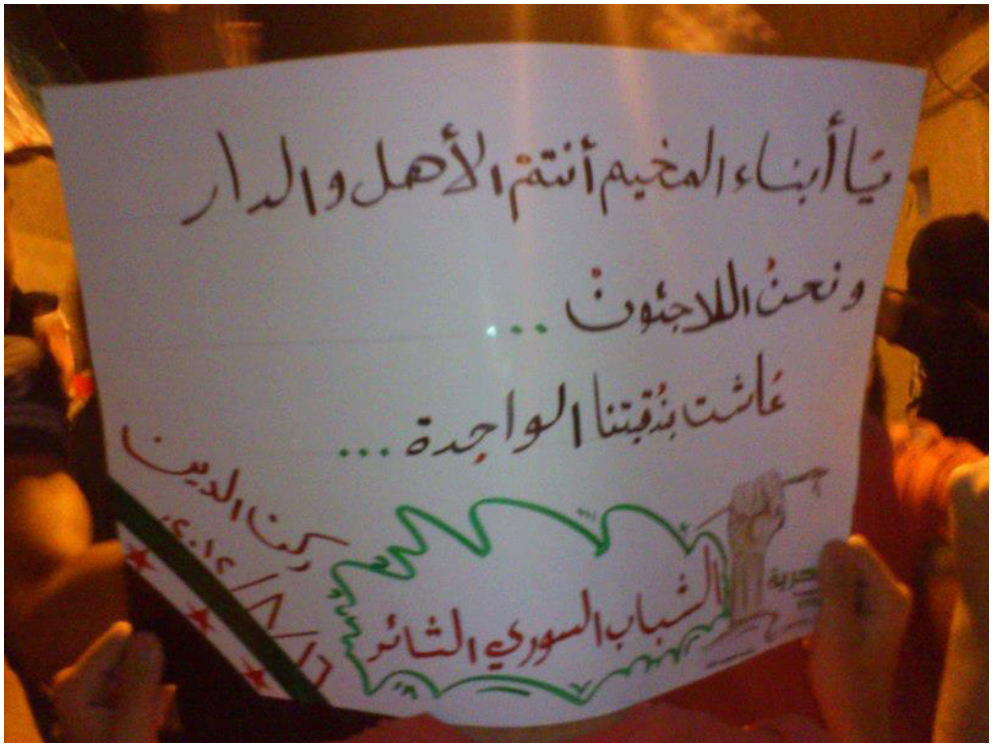

أمام إصرار هامش كبير من المواطنين السوريين على التمتع بجنسية أخرى غالبا ما تكون غربية، لدوافع مختلفة ويخضعون أحيانا لشروط تعجيزية تقريباً ومع ذلك يبقى الانتماء للعالم الأول هدفاً يستحق كل تضحية، واليوم في زاويتنا القانونية نضيء على الجنسية العربية السورية وشروط الحصول عليها.

عرّف المشرع السوري المواطن العربي السوري: بأنه الشخص المتمتع بالجنسية العربية السورية، كما عرف المواطن المغترب بكل من ينتمي في الأصل إلى بلد عربي إذا كان لا يقيم في دولة عربية ولا يحمل جنسية دولة عربية، أما الأجنبي فهو كل من لا يتمتع بجنسية الجمهورية العربية السورية أو جنسية أي بلد عربي آخر..

كما يضيف المشرع تعريفاً للمتجنس وهو الشخص الذي حصل على جنسية الجمهورية العربية السورية بموجب أحكام هذا المرسوم التشريعي أو قوانين الجنسية السابقة

وقد نصت المادة الثالثة من قانون الجنسية على أنه يعتبر عربياً سورياً حكماً:

أ ـ من ولد في القطر أو خارجه من والد عربي سوري.

ب ـ من ولد في القطر من أم عربية سورية ولم تثبت نسبته إلى أبيه قانوناً.

ج ـ من ولد في القطر من والدين مجهولين أو مجهولي الجنسية أو لا جنسية لهما ويعتبر اللقيط في القطر مولوداً فيه وفي المكان الذي عثر عليه فيه ما لم تثبت العكس.

د ـ من ولد في القطر ولم يحق له عند ولادته أن يكتسب بصلة البنوة جنسية أجنبية.

هـ ـ من ينتمي بأصله للجمهورية العربية السورية ولم يكتسب جنسية أخرى ولم يتقدم لاختيار الجنسية السورية في المهل المحددة بموجب القرارات والقوانين السابقة.

وقد أجاز القانون منح الأجنبي الجنسية بمرسوم بناءً على اقتراح وزير الداخلية وعلى طلب خطي يقدمه الطالب الذي يشترط أن يكون:

أ ـ كامل الأهلية.

ب ـ مقيماً في القطر إقامة متتالية مدة خمس سنوات على الأقل سابقة لتقديم الطلب وتعتبر الإقامة المتقطعة متتالية إذا لم تتجاوز مدة غياب صاحبها سنة كاملة تضاف زيادة على الخمس سنوات.

ج ـ خالياً من الأمراض السارية والعاهات والعلل التي تمنعه من مزاولة أي عمل.

د ـ حسن السلوك محمود السمعة ولم يسبق الحكم عليه بعقوبة جنائية أو بعقوبة مقيدة للحرية في جريمة شائنة إلا إذا أرد إليه اعتباره.

هـ ـ ذا اختصاص أو خبرة يمكن الاستفادة منها في القطر أو أن تكون له وسيلة مشروعة للكسب أو يملك ما يغنيه مساعدة الغير.

و ـ ملماً باللغة العربية قراءة وكتابة.

وتجدر الإشارة إلى أنه لا تمنح الجنسية إلا بصورة إفرادية ويستثنى من ذلك أفراد العائلة الواحدة، كما يجوز منح الجنسية بمرسوم بناء على اقتراح الوزير دون التقيد بشروط منح الجنسية المنصوص عليها سابقا للأشخاص الآتي ذكرهم:

أ ـ لمن يحمل شهادة مواطن مغترب ويتقدم بطلب الجنسية.

ب ـ لمن أدى للدولة أو للأمة العربية خدمات جليلة، أو لمن كان ينتمي في الأصل إلى بلد عربي، بناء على طلبه ولأسباب يعود تقديرها للوزير.

هذا وتكتسب الجنسية بالزواج، إذ تمنح لزوجة الأجنبي المكتسب للجنسية ضمن الشروط التالية: "أن تقدم طلباً بذلك إلى الوزارة، وأن تستمر الزوجية قائمة مدة سنتين من تاريخ الطلب، وأن تكون مقيمة في القطر بصورة مشروعة خلال خمس سنوات متتالية".

ويتمتع الأولاد القصر بالجنسية إلا إذا كانت إقامتهم العادية في الخارج وبقيت لهم جنسية أبيهم الأصلية بمقتضى التشريع الناظم لها. كما أن لهم أن يختاروا جنسيتهم الأصلية خلال السنة التالية لبلوغهم سن الرشد ويسمح لهم بذلك بقرار من الوزير.

أما عن فقدان الجنسية بالتخلي أو الزواج واستردادها فقد نصت المادة العاشرة من القانون على مايلي

1 ـ يفقد العربي السوري جنسيته إذا تجنس بجنسية أجنبية بشرط أن يكون قد صدر المرسوم بناء على طلبه واقتراح الوزير بالسماح له بالتخلي عنها بعد قيامه بجميع واجباته والتزاماته تجاه الدولة.

2 ـ كل عربي سوري تجنس بجنسية أجنبية بناء على طلبه قبل السماح له بالتخلي عن الجنسية يظل متمتعا بها من جميع الوجود وفي جميع الأحوال إلا إذا رؤى تجريده منها، ويعاقب بالحبس من شهر إلى ثلاثة أشهر وبالغرامة من خمسمائة ليرة إلى ألفي ليرة أو بإحدى هاتين العقوبتين. ولا تحرك دعوى الحق العام في هذا الشأن إلا بطلب خطي من الوزير.

أما المادة الحادية عشرة فقد نصت على ما يلي:

1 ـ يترتب على تجنس العربي السوري بجنسية أجنبية متى أذن له بذلك، أن تفقد زوجته الجنسية إذا كانت تكتسب جنسية زوجها بمقتضى القانون الخاص بها إلا إذا طلبت خلال سنة من تاريخ تجنس زوجها الاحتفاظ بها.

2 ـ يفقد الأولاد القصر الجنسية إذا كانوا يكتسبون جنسية أبيهم الجديدة بمقتضى القانون الخاص بهم.

3 ـ للأولاد الذين تقررت جنسيتهم بحسب الفقرة السابقة أن يختاروا جنسية أبيهم الأصلية خلال السنة التالية لبلوغهم سن الرشد إذا كانت إقامتهم العادية في القطر أو كانوا قد عادوا إليه بقصد الإقامة الدائمة فيه ويسمح لهم بذلك بقرار من الوزير

ويجوز منح أبناء البلاد العربية الجنسية بقرار من وزير الداخلية بناء على طلب خطي يقدمه طالب التجنس الذي يشترط أن يكون:

أ ـ كامل الأهلية.

ب ـ يتمتع بجنسية بلد عربي.

ج ـ أن تكون إقامته العادية في القطر حين تقديم الطلب.

د ـ خالياً من الأمراض السارية والعاهات التي تمنعه من مزاولة أي عمل.

هـ حسن السلوك، محمود السمعة، لم يسبق الحكم عليه بعقوبة جنائية، أو بعقوبة مقيدة للحرية في جريمة شائنة إلا إذا رد إليه اعتباره. ويتمتع الأولاد القصر بالجنسية، ولو كانت إقامتهم العادية خارج القطر.

و يترتب على اكتساب الزوج الجنسية أن تصبح زوجته متمتعة بها ضمن الشروط التالية:

أ ـ أن تبدي رغبتها بذلك بالتوقيع على طلب الزوج أو بطلب منفرد.

ب ـ أن تكون متمتعة بجنسية بلد عربي أو من أصل سوري أو كانت تتمتع بالجنسية العربية السورية.

كما اعتبر المشرع المرأة التي تتمتع بجنسية بلد عربي أو من أصل سوري أو كانت تتمتع بالجنسية العربية السورية وتتزوج من مواطن عربي سوري تصبح عربية سورية بمجرد إبداء رغبتها بطلب خطي وبقرار من الوزير.

ولابد من الإشارة أنه يجرد من الجنسية بحكم قضائي من ثبت اكتسابه إياها بناء على بيان كاذب أو بطريق التدليس ويشمل التجريد من اكتسبها بالتبعية.

سلطان باشا الأطرش 1888-1982

■ ياسر مرزوق

إبراهيم هنانو 1869 – 1935 م

ولد إبراهيم هنانو في بلدة كفر تخاريم من أعمال حلب سنة 1869م في شمال سورية، ووالده هو سليمان آغا بن محمد هنانو، الذي تنحدر أسرته من عشيرة البرازي أعرق العشائر الكردية في سوريا وأكثرها ثراءً ونفوذاً، ووالدته ابنة الحاج علي الصرما من أعيان كفر تخاريم.

بعد أن أنهى إبراهيم تعليمه الأساسي، التحق بالمدرسة الملكية للحقوق والإدارة في الأستانة وتخرّج منها، لينخرط بعدها في الوظيفة الحكومية، ويتنقل في عدد من الوظائف الإدارية، التي قادت خطاه إلى عدد من المدن العثمانية، ليعمل مديراً لناحية من ضواحي اسطنبول ثلاث سنوات، ثم عين قائمقام في "أرضروم" وبقي فيها أربع سنوات، حيث تزوج بفتاة من أرضروم "ولدت له ابنة أسماها نباهت، وولده أسماه طارق، وقد توفيت زوجته على إثر هذه الولادة"، بعد ذلك عين كقاضي تحقيق في كفر تخاريم وبقي فيها ثلاث سنوات، حتى انتهى به الحال عضواً في مجلس إدارة حلب لمدة أربع سنوات، قبل أن يصبح رئيساً لديوان ولاية حلب سنة 1918م، وقد تم انتخابه ممثلاً لمدينة حلب في المؤتمر السوري الأول الذي انعقد في دمشق "1919 - 1920".

مع خروج الأتراك من سوريا وبداية العهد الفيصلي، احتل الفرنسيون الساحل السوري كاملاً، بما في ذلك مدينة "أنطاكيا"، فانتدب عدداً من أهالي قريته الذين يثق بوطنيتهم وقدراتهم لتشكيل أول فصيل من فصائل المقاومة في المنطقة الشمالية، باسم "جمعية الدفاع الوطني"، والذي كان مقره الرئيس في حلب، وأخذ يتردد بينها وبين العاصمة دمشق. وقد تم ذلك بالتنسيق مع الزعيم "سعد اللّه الجابري" ليصبح للثورة في الشمال جناحان عسكري بقيادة هنانو وسياسي بقيادة الجابري.

وبعد أن بلغ عدد المجاهدين في قرية كفر تخاريم خمسين رجلاً، بدأت حركة تجنيد مماثلة في القرى المجاورة حتى أصبح عددهم 400 مجاهد. وقامت هذه القوة بالهجوم ليلة 18-19 نيسان 1920 على حارم فهزمت الفرنسيين وأجبرتهم على الانسحاب إلى القلعة الرومانية المجاورة قرب القصبة، وبقيت هذه القوة محاصرة حتى سقوط حكومة دمشق في 25 تموز 1920.

وبعد دخول الجيش الفرنسي لمدينة حلب في 23 تموز 1920، انسحب هنانو من حلب إلى مسقط رأسه كفر تخاريم، وبدأ بإعادة تنظيم الثورة بالتعاون مع المجاهد "نجيب عويد". واستقر رأي الثائرين على تشكل حكومة مدنية مقرها أرمناز وأوكل إليها تنظيم الأمور المالية والاقتصادية للثورة والمجتمع، وعقد اجتماع عام يضم وجهاء نواحي المنطقة الشمالية لمفاتحتهم بإعلان الثورة، وتقرر في هذا الاجتماع الدعوة للثورة، وسفر هنانو إلى تركيا كي يطلب من حكومتها مساعدة الثائرين ضد الاستعمار الفرنسي، وهكذا انطلق هنانو في شهر آب 1920 إلى مدينة مرعش ليقابل قائد الفيلق الثاني التركي، حيث عقد معه اتفاقية كي تمد الحكومة التركية الثورة بالأسلحة والذخيرة. وتم توقيع هذه الاتفاقية في 6 أيلول من عام 1920.

وبعد استتباب الأمور التنظيمية قام هنانو بإعلان الثورة في أواسط شهر أيلول 1920 بإذاعة بيان على الشعب حض به على الثورة وطالب قناصل الدول الأجنبية التدخل لوقف مجازر الفرنسيين. وقد بدأت الثورة بالتعاون مع آل بركات وجهاء أنطاكيا الذي ما لبث زعيمهم "صبحي بركات" أن تصالح مع الفرنسيين، وترأس حكومة حلب،

مع إعلان الثورة وصل رسول من الشيخ صالح العلي قائد الثورة في الجبال الساحلية عارضاً على هنانو التعاون بين الثورتين فرحب هنانو بذلك واستقر الرأي أن تقوم قوات الثورة الشمالية باحتلال جسر الشغور لترسيخ وضع كل من الثورتين.

ومن الجدير بالذكر أنه كان من بين المقاتلين مع الزعيم هنانو، شابٌ بلغاري اسمه "خريستو" ويشكل انضمام خريستو وزملائه إلى الثوار ظاهرة جديرة بالدراسة خاصة وأنها لم تكن الأولى من نوعها حيث سبقهم إلى ذلك بلغار وألمان أسرهم الشيخ صالح العلي فانضموا إليه في مقاومته للفرنسيين. ولم يذكر مؤرخو الثورة السورية عن خريستو إلا النزر اليسير، ولعل السبب في تقصيرهم يرجع إلى غياب المراجع التي قد تكون متوفرة في السجلات الفرنسية حيث يمكن معرفة الأسماء الحقيقية لأولئك البلغار ومعرفة من أين أتوا وتفهم دوافعهم. لكن ذلك لا يعفينا من واجب تسليط الضوء على ظاهرة بطولة إنسانية نادرة حين سقط أولئك الأبطال صرعى بعيداً عن بلادهم، دفاعاً عن قضية عادلة لشعب محتل.

توالت خسائر الفرنسيين بين، جبل الزاوية، دركوش، الدويلة، جسر الشغور، مما دعاهم لإجراء مفاوضات مع هنانو من أجل إنهاء الثورة، ولم يمانع هنانو في إجراء المفاوضات سعياً لتخفيف قبضة الفرنسيين عن السكان المحليين الذين كانوا يتحملون القسط الأكبر من القمع، وتمت المقابلة بين الطرفين في قرية نحلة يوم الجمعة 17 نيسان 1921. وحضر من الجانب الفرنسي الجنرال غوبو والكولونيل فوان، ومن الجانب الآخر حضر الزعيم هنانو وبصحبته عدد من زعماء الثورة.

وقد عرض الجنرال غوبو على هنانو باسم السلطات الفرنسية تسليمه رئاسة حكومة محلية في

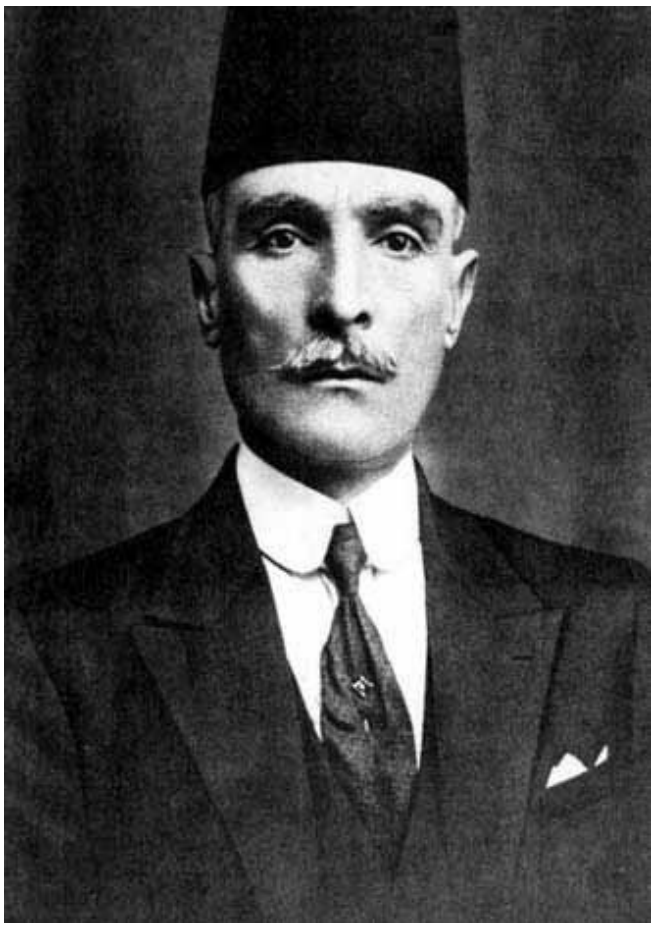

أقضية حارم وإدلب وجسر الشغور بشرط أن يتم إنهاء الثورة وأن يسلم الثوار أسلحتهم، فرد هنانو هذا العرض قائلاً: "إن من موجبات نقمة السوريين على سياستكم الاستعمارية إقامة هذه الدويلات، فهل أرضى لنفسي رئاسة دولة أحاربكم من أجل تمزيق البلاد إلى دويلات مثلها، إن الفرنسيين دخلوا البلاد السورية رغم رغبة سكانها فلينسحبوا منها إلى خارجها وليعلن في البلاد عن إجراء انتخابات حرة، حتى إذا ما تمت الانتخابات بجو هادئ واجتمع المجلس المنتخب، فإن إبراهيم هنانو سيكون في طليعة الذين يرضخون لمقرراته ولو كانت قبول الانتداب الفرنسي على أن يتعهد الجانب الفرنسي باحترام هذا القرار مهما كان نوعه".

بعد فشل الاجتماع استخدمت فرنسا كل طاقاتها العسكرية بما فيها الطيران لقمع الثورة، والسيطرة على جبل الزاوية ذي الموقع الحيوي، فاضطر الثوار إلى الانسحاب من الجبل والطائرات تلاحقهم أينما ذهبوا. وبالتزامن مع التطورات الميدانية، قام مصطفى كمال أتاتورك بتوقيع اتفاقية مع فرنسا، وأوقف معونته للثوار السوريين مما أدى إلى إضعاف موقفهم ولم تكتفِ تركيا بذلك فقط بل أوعزت إلى بعض عملائها للقيام بأعمال تخريب ذات طابع طائفي كي تسيء للثورة وقيادتها.

مع تضييق الخناق على الثورة، انقسم ثوار الشمال إلى مجموعتين، الأولى بقيادة المجاهد "نجيب العويد" تنسحب للأراضي التركية المجاورة، لتقوم لاحقاً بشن غارات على الفرنسيين، والثانية تتجه للأردن بقيادة هنانو، مع الحفاظ على التنسيق بين الفصيلين، وفي 11 من تموز عام 1921 توجه هنانو ورفاقه جنوباً إلى شرق الأردن عن طريق بادية الشام ولكنهم تعرضوا للعديد من المتاعب والمعارك، وجرت معركة كبيرة بالقرب من مدينة حماة سميت معركة مكسر الحصان بين الثوار والفرنسيين، استشهد فيها العديد من الثوار، وكانت القوات الفرنسية تسعى لأسر إبراهيم هنانو حياً ومحاكمته. وأخيراً، وصل هنانو وحده إلى جبل العرب حيث التقى بسلطان باشا الأطرش الذي مكنه من المغادرة إلى عمان. ولم يطل المقام كثيراً بهنانو في الأردن، إذ لم يرحب الأمير عبد اللّه بمساعدته، فتوجه إلى فلسطين، وهناك قبضت عليه السلطات البريطانية في القدس وسلمته للفرنسيين الذين وضعوه في السجن المركزي في حلب تمهيداً لمحاكمته.

تم تقديم إبراهيم هنانو إلى المحاكمة، حيث طالب المدعي العام الفرنسي في مرافعة طويلة بإعدام هنانو قائلاً: "لو كان لإبراهيم هنانو سبعة رؤوس بعدد جرائمه، لطلبت إعدام رؤوسه السبعة، ولكنه لا يملك إلا رأساً واحداً"، وفي منتصف شهر آب 1921 شاع في المدينة أن إبراهيم

هنانو وصل إلى حلب موقوفاً وأودع السجن العسكري الذي كان يومئذٍ في الخان المعروف باسم خان استانبول في محلة السويقة بحلب. كان هنانو مسجوناً في سجن انفرادي عندما زاره المحامي الشاب فتح الله صقال. سأله المحامي: أشكر لك ثقتك بي، ولكن لم أفهم لتصرف النائب العام الفرنسي معنى وهو الخصم الأكبر في قضيتك، ما الذي دفعه إلى إرسال كتاب بالسماح لي بزيارتك في السجن وأنا لا علم لدي بأنك قد وكلتني أصلاً بالدفاع عنك، أجاب هنانو: لقد عرض علي كثيرون من زملائك أن يدافعوا عني، وفجأة، خطر لي أن أستحلف النائب العام بشرفه العسكري أن يدلني على المحامي الذي يختاره هو فيما لو كان متهماً مثلي.

وقد رفض النائب العام في بادئ الأمر أن يجيب على سؤالي هذا ولكنه ما لبث أن أسرّ في أذني، أنه لو كان متهماً لاختارك أنت للدفاع عنه.

يقول فتح الله صقال في مذكراته: لقد كان هنانو رجلاً ذكي النفس، صلب العقيدة قوي الإرادة، وكانت عيناه تشعان بنور غريب وتكادان تقذفان شرراً.

استغرقت الزيارة ساعتين متواصلتين تبادل فيها الطرفان الأحاديث، وبعدها، صعد المحامي إلى مكتب النائب العام وشكره على ثقته فقال له هذا الأخير: إذا وفقك الله وانتصرت عليّ فسأكون أول من يهنئك.

تبلغ المحامي أن المحاكمة ستبدأ في الخامس عشر من آذار 1922 في دار الحكومة "السراي القديمة" وفي الغرفة المعدة لمحكمة الجنايات الأهلية. وفي اليوم المعين للمحاكمة، اصطف الجنود السنغاليون على جانبي الطريق الممتد من بناية البريد القديمة إلى مدخل دار الحكومة فقاعة محكمة الجنايات، وغصت جميع الطرقات بالألوف من المواطنين، وقاعة المحكمة بالمحامين والمستمعين.

وخوفاً من الغضب الشعبي، وللدفاع المحكم الذي قدمه المحامي "فتح الله صقال" حكمت المحكمة ببراءة هنانو الذي أخرجته السلطات الفرنسية العسكرية من قاعة المحكمة وأعادته إلى السجن قبل إصدار الحكم تحاشياً لأي حادث مفاجئ يمكن أن يقع. وكان هتافات الجماهير التي علت خارج السجن كفيلة بتفهيم هنانو أن براءته قد أعلنت. وأطلق سراح هنانو على الفور، وتبعت يوم البراءة أيام مشهودة، في تاريخ حلب، حيث تقاطرت الوفود، من بلاد الشام، لتهنئة الزعيم والاحتفاء به.

ووضع الزعيم تحت الرقابة المشددة في داره، إلا أن ذلك لم يمنعه من تنظيم العديد من العمليات النوعية، ضد الفرنسيين بالتعاون مع رفاقه القدامى الذين لجئوا إلى الحدود التركية، كما ذكرنا آنفاً، وساعة إعلان الثورة السورية الكبرى عام 1925، اتصل الزعيم هنانو بالثوار من أجل إعداد سرية مجاهدين لدعم الثورة، وخاض الوطنيون في الشمال السوري معارك مشرفة، لكن ثورتهم انتهت نتيجة الرد الوحشي الفرنسي، وتواطؤ الأتراك عليهم.

عام 1927 تم تشكيل الكتلة الوطنية في بيروت بمشاركة عدد من الزعماء الوطنيين نذكر منهم "إبراهيم هنانو هاشم الأتاسي، عبد الرحمن الكيالي، عبد الحميد كرامي، عبد القادر الكيلاني، الأمير سعيد الجزائري، فاخر الجابري، مظهر رسلان، عفيف الصلح، نجيب البرازي، إحسان الشريف، عبد الله اليافي، عبد اللطيف بيسار، وعبد الرحمن بيهم".

وفي عام 1928 تم انتخابه في اللجنة التأسيسية وكان من أبرز أعضائها قبل تعليق جلساتها من قبل سلطات الاحتلال الفرنسي، حيث تم تعيينه رئيساً للجنة الدستور. وفي عام 1932 وفي مؤتمر الكتلة الوطنية انتخب هنانو زعيماً للكتلة الوطنية، وساهم عام 1933 في استقالة حكومة حقي العظم بسبب نيتها الموافقة على المعاهدة الفرنسية التي كان يرى أنها مجحفة بحق آمال السوريين في الاستقلال والحرية.

في أيلول من عام 1933 قام شخص يدعى "نيازي الكوسى" بإطلاق النار على هنانو في قريته كفر تخاريم إلا أن الرصاص أصاب قدمه، وقد تم القبض على مطلق النار في أنطاكية وحكم عليه بالسجن عشر سنوات، إلا أن المفوض السامي الفرنسي أصدر عفواً بحقه، ما يشير إلى علاقة الفرنسيين بمحاولة الاغتيال.

توفاه الله في 21 تشرين الأول 1935 بعد صراع مع مرض السل، وقد تسابق الشعراء والخطباء إلى تأبين الفقيد الكبير والإشادة بحياته وعطائه وبطولاته، وكان بين الخطباء فارس الخوري، صبري العسلي، عبد الرحمن الكيالي، والشاعر عمر أبو ريشة. وكان أبرز من كتب عنه: نجيب الريس صاحب جريدة القبس، نصوح بابيل صاحب جريدة الأيام، معروف الأرناؤوط صاحب جريدة فتى العرب، يوسف العيسى صاحب جريدة ألف باء، الدكتور منير العجلاني، وجبران تويني صاحب جريدة النهار البيروتية، وغيرهم كثيرون جداً.

ودعت الكتلة الوطنية بعد ذلك إلى حفل تأبين كبير أقيم في دمشق في العاشر من كانون الثاني 1936 على مدرج الجامعة السورية، وحضرته وفود من مختلف الأقطار العربية، وتليت فيه كلمات وبرقيات الملوك والأمراء والوزراء ورجالات الوطن.

ومما قاله عنه الدكتور منير العجلاني في حفل التأبين: «بموته، شعر كل شاب أن أباً قد مات، وكل مجاهد أن قائداً قتل، وكل سياسي أن معقلاً تهدم. بموته، تقف حركة شغلت الناس بعملها عن تقدير أثرها، وما أدراك ما أثرها؟ قطعة من الوطن على حدود الترك، تحتشد فيها أمة قيل عنها أنها تاجرة، وقيل عنها أنها نزاعة للانفصال، وقال عنها صحفيون غربيون أنها غريبة عن دمشق، لأن وطنية دمشق تقف عند أسوار حماة. ولكن رجلاً ظهر، وانطلق الحلبيون يرددون اسمه، كما ترد أسماء الأولياء، فنسخ آية الانفصال، وسكب الإيمان في القلوب، والنور في العيون، والمضاء في العزائم والعفة في الألسنة، وسيطر على العقول بالفروسية، وأعاد الضعيف قوياً، والمتهاون أبياً، والجوامع والصوامع والمدارس والمنازل، معاقل قومية وعلم حلب من الوطنية ما تعلم وما لا تعلم، ورفع اسمها فوق الأسماء، وحمل إلى العاصمة، التي كانت تتساءل عن وسيلة للدفاع عن حلب جيشاً يدافع عنها هي نفسها. ذلك الرجل هو إبراهيم هنانو، وإبراهيم هنانو قد مات. رحم الله هنانو، فقد صنع لنا تاريخاً وبنى لنا معقلاً.

كما رثاه الشاعر الكبير بدوي الجبل في قصيدته «آلام» التي ألقاها في حفلة أقامتها الكتلة الوطنية سنة 1942 لذكرى إبراهيم هنانو وفي سورية ثلاثة جيوش احتلال: الإنكليز والفرنسيون والأمريكان، والحكم العرفي معلن، كانت هذه الحفلة مناسبة لاستئناف النشاط الوطني. وقد قال في القصيدة ذاكراً البطل إبراهيم هنانو:

سَقَتْهُمُ كفُّ إبراهيمَ صافيةً
من خمرة الحق تروي كل من يَرِدُ
ففي الدماء سعيرٌ من سلافتها
عجلانُ يهدأُ أحياناً ويتّئِدُ
بين الجوانح إلا أنّه أنَفٌ
وفي الشمائلِ إلا أنه صَيَدُ أذْكى
أبو طارقٍ في الشرق جمرتها
حمراءَ تلتهم الجُلّى وتزدردُ
إذا ونَتْ وهتفنا باسمه جمحتْ
تعيد سيرتها الأولى وتطّرد
فذِكْرُهُ الأمل الهادي إذا انتبهوا
وطيفه الحلم الهانيِ إذا رقدوا
زعامة الحقّ لا شوهاءَ يرفعها
على الرمال الهوى والزُورُ والفَنَدُ
مالي أرى الفرس الشقراءعاريةً
على المرابط لا تطغى فتنجرِدُ
آبَ المغيرون جُذّتْ خيلهم مرحاً
وآن أن يستريح الفارس النّجِدُ.

جاء في كتاب يوسف إبراهيم يزبك في كتابه ذكريات وتاريخ ونصوص: "أخبرني الزعيم إبراهيم هنانو في إحدى ليالي اصطيافه في بحمدون آن لينين أوفد إليه ضابطاً من القفقاس عرف هنانو قبل بضع سنوات وعمل معه في خدمة الحكومة العثمانية في ولاية حلب. وكان الضابط يحمل رسالة مكتوبة بالتركية يعرض فيها مساعدة الثورة السورية التي حمل سلاحها إبراهيم هنانو وإخوانه فلاحو جبل سمعان على الاحتلال الفرنسي بعد نكبة ميسلون. وسألت الزعيم هنانو عن مصير الرسالة، فأجاب أبو طارق رحمه الله: "إنها عدة رسائل وليست واحدة، تبودلت بيني وبين بطل البولشفيك لأجل إشعال نيران الثورات على الفرنسيين والإنجليز في تركية وسورية والعراق وفلسطين ومصر. وكان لينين مخلصاً فيما عرضه علي ولكنه أراد أن تكون الثورات من الشعوب الإسلامية".

صورة تجمع المجاهدين الذين ناضلوا ضد الاحتلال الفرنسي
من اليمين: أحمد روطو / عفرين - شيخ صالح العلي - سعدالله الجابري - يوسف العظمة -
شيخ عبدي خوجة / عفرين - ميدانكي - ابراهيم هنانو - مصطفى شيخ حسين

بين الداخل والخارج

■ جمال داود

سأحدثكم عن نفسي كمغترب سوري، لم يعش الثورة.. إلا عبر الأنترنت، و28 سنة قضاها في دمشق

أنا معتقل أتابع فترة سجني.. في الخارج..

* * *

في قبو من الانتظار
ذاكرتي شريط كاسيت يعيد نفسه تلقائيًا
يجلدني الحنين مرة ويغلق عيني عن رؤية ما يجري حولي
"وتارة يخادعني الحنين ويقول لي: اعترف بذنبك: أنا بصفك وأريد مصلحتك
تتساقط الأخبار الحزينة على رأسي
كنقطة الماء المستمرة.. في معتقل
تمنعني من النوم حتى لأحلم بحريتي.. بينكم

* * *

عن خبرة في الاعتقال.. الكدمات الجسدية التي يتركها أي اعتقال لابد أن تشفى
لكن كدمات الروح لا تشف أبدًا
أنا الذي لم أزر سجنًا حتى.. روحي لم تعرف الحرية يومًا
في الداخل أو الخارج

* * *

أبحث عن الحرية في كل شيء أقرأه، أكتبه، أحبه.. وفي كل وجه جديد أقابله.. ربما لأنني أسير عالمكم

* * *

قال لي أحد الثوار المهمشين الذي لم تصبه قذيفة حتى الآن: ليس لدي شيء لأخسره.. لذلك لايفكر أحد في قتلي أو نفي من هذا العالم الذي يستحقرني..
فقط عندما أموت بالصدفة.. أصبح مشهورًا

* * *

86
لقد كنت في الداخل

"نزحت إلى ملحق في ال86 يدلف سقفه زفتًا" هذه ليست مبالغة شعرية فقد قام صاحب البيت بدهان السطح زفت لمنع الدلف وجدرانه من مادة MDF، التي لم تكن لتمنع وصول آهات العرسان الجدد في جواري، وعلى درج البلوك كنت أرى أحذيتهم.. أحذية كل سكان العمارة وأحلامهم المهمشة.. كأحلام من كانوا بجواري في حي سابق من أحياء دمشق..

* * *

نسيت أن أخبركم خلال ال 3 أشهر التي قضيتها في حارة الساحة في 86، كنت أصعد درجًا طويلًا من الاسمنت العاري يمر بين أبنية غير مكتملة البناء متشابكة بين بعضها يسمونها عشوائيات، من الصعب أن تميز مدخل البناء من حفة الدرج من فتحة بين بنائين، من الصعب أن تعبر دون أن تشمر عن ساقيك لتنجو من بقع الوحل ومستنقعات الماء الأسود المترامية هنا وهناك، دائمًا تجد أولادًا عليهم لاحة التشرد والفقر يحتلون تلك الدرجات وفتيات جميلات يتنقلن من بناء لبناء "بفشخة" واحدة..

وعندما أرجع متأخرًا في الليل.. كان لابد لي من أن أتحاشى أكياس القمامة التي هربت منها الفضلات الملقاة على طول الدرج العملاق وكتيبة الجرذان التي تخرج دائمًا منها، لاستقبالي.. كان الجميع ينظر إلي بغرابة، لقد كشفت سرهم ورغبتهم الأبدية في الإنكار والمكابرة على الوضع الراهن.. وكأنهم يعرفون أني سأثور.. من أجلنا..

.. شاهدت لوحتك أيها الرسام.. فأدركت جيدًا بأي الأحزان رسمتها..

* * *

أعرف أنكم تستغلون الحزن والقهر والقمع لترسموا لوحة، أو تغنوا أغنية، أو تكتبوا قصيدة..
لأن هذا ما أتقنه.. استغلال الألم..

* * *

بوظة أمية باب شرقي

لقد كنت في الداخل.. في حي باب شرقي.. أسكن بجوار مقبرة.. ومحلات "حدادة" لتصليح السيارات.. كنت أراقب الموتى كل يوم وهم يخرجون في مسيرة حداد.. على التماثيل الذين يسكنون حولهم مستسلمين لآهات الحديد وأجراس الكنيسة الحزينة.. الغريب أن جيراني هناك اعتادوا فتح أبوابهم ومراقبة المارة رغم ضجيج الأرواح المتزاحمة في ذاك الحي.. أتساءل هل يمكن لهم سماع صوت القذيفة؟ في حال خرجت ثورة من هناك؟ وأي ثورة يمكن أن تخرج من حي جل أهله يعانون من الطرش؟ والخوف الدائم وصدأ الروح؟
من يرضى السكن خلف مقبرة؟ إلا الذي به شيء من الموت؟
من الذي يرضى السكن فوق ورشة حدادة؟ إلا الذي يتلذذ بالضجيج؟
ربما هم مجرد مساكين.. مثلنا..
ينتظرون أن تنتشلهم الثورة.. رغمًا عنهم..

* * *

لقد انتظرت أيها الرسام السوري سنوات طويلة لتقوم بثورة داخلية على نفسك، ولتخرج ذاك الكم الهائل من الإبداع.. أم أنك انتظرت لتفقد عملك السابق؟ أو أحد أقربائك؟
لابد يومًا ما من توجيه الشكر للجلاد..

* * *

لقد بقي أهلي يقولون لي: "لا ترد جواب" كلما حاولت النطق بأي شيء يخطر في بالي أو كلما حاولت أن أقول لهم أنتم على خطأ.. حتى جمعت أجوبتي تلك وأصبحت نصوصًا جعلتكم تظنون أني كاتب

* * *

وقفت ضد الرئيس بلاخوف من سجانيه وقتلته ومخلفاته.. كيف أخاف وأنا الذي قتلوا روحه في السابق

* * *

لم تقل أمي لي: "دير بالك مما تكتبه".. لأنها كانت تعرف أنها هدف محتمل لكتاباتي.. وسبب حزني وثورتي وغضبي الدائم..
أو لأنها لا تعرف أن ابنها يثور ويكتب..

* * *

جامع الشيخ محي الدين

لقد كنت في الداخل.. قرب الشيخ محي الدين..
أرتب الخبز على جدار المسجد ليبرد من وجعه الدائم..
كنت أصنع منه أشكالًا كثيرة.. فوق السور رغيف، بين القضبان رغيف، على الحفة الضيقة رغيف..
على السبيل على البسطة القريبة..
تعلمت هندسة الأرغفة الساخنة من تلك الحجة التي كنت أقابلها يوميًا عند الفرن لا تضحك أبدًا ولا تأبه للدور أو الدفعات أو اللكمات التي يوجهها لها زبائن الفرن "الدائمين أو عابري السبيل".. وكأنها فقدت إحساسها بجسدها الذي تحول لآلة لحمل الخبز وتبريده على الحافات.. كنت أراقبها وانتظر دوري لأفرد أرغفتي وأحلم.. بمستقبل لنا لا نتدافع فيه على الفرن.. وكأنها نهاية الخبز

* * *

ملاحظة 2:
للوصول للشيخ محي الدين.. كنت أصعد بين حارات متلاصقة بعضها إلى بعض.. معظمها أبنية مصنوعة من خشب أو لبن.. تنحني على بعضها لتستر عورتها وتخبئ أسرارها.. أرضية تلك الحارات في الشتاء تغزوها الحفر والمستنقعات الصغيرة "طابوسة"، لابد من مشاهدة طفل هنا وطفلة محجبة هناك.. يقولون لك: قم بثورة من أجلنا، أنت أيها القادم لتزاحم أرواحنا وتستغل آلامنا في قصيدة..

* * *

جسر الثورة – سينما ستي
لقد كنت في الداخل..
وكانت السيارات الفخمة دومًا في الخارج تراقب وقوفي تحت جسر الثورة وسط الزحام وتتجاهل الذين كانوا معي في الداخل..
كنت أذهب للسينما لأشاهد الأفلام الهوليودية علها تبالغ في نقلي إلى عالم أجهله.. لا أحفظ معاناة شخصياته عن ظهر قلب.. وفي خارج السينما كان الناس يتجمهرون حول بسطة لبيع الأفلام في سوق الحرمية تعرض فيلم مصارعة أو كاراتيه أو آخر بطولات "فان دام" وهو يقتل الأوغاد بالعشرات.. بل بالمئات والآلاف.. لم أكن أعرف أن فان دام هذا كان شبيح هوليود..

* * *

لم أنم على عشب حديقة الثورة.. لكني شاهدت النائمين في الهجيرة..

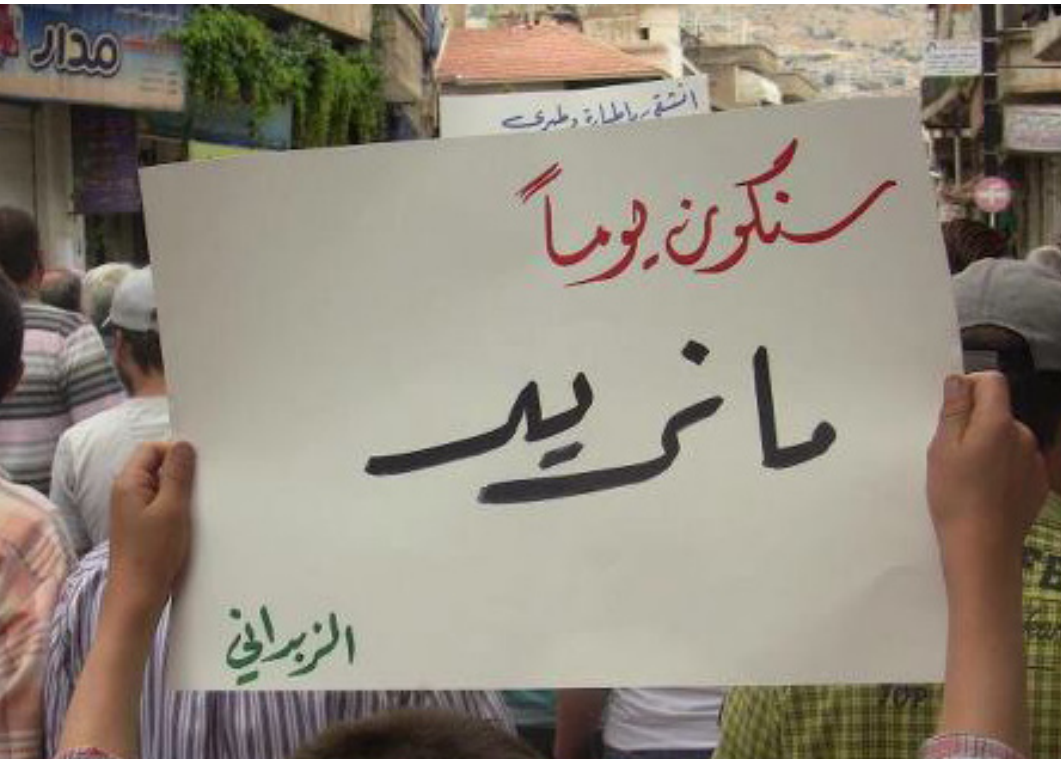

لم أشتر قميصًا معرقاً لي من سوق الأرماني.. لكني شعرت بحزن عندما أغلقوا السوق وحولوه لحديقة لينام فيها أصحاب القمصان المعرقة..

لم أبع بطاقات الشحن ولا اليانصيب كأي مخبر أصيل، لم أخترع منتجًا وهميًا، لم أسجل صوتي في شريط يكرر نفسه "أيا غرض ب 10 ليرات" كنت مجرد زبون عادي.. انتابه الفضول ليعرف متى سيتوقف هؤلاء عن التمثيل بأنهم أحياء ويقومون بثورة؟

* * *

لقد كنت في الداخل لم يمت أبي برصاص الشبيحة.. لكنه قتلني مرات عدة.. وأجبرني على الثورة..

لقد كنت في الداخل أحاول أن أنفخ الروح في غصن شجرة يابس وإذ به يحترق الآن وأنا في الخارج..

* * *

لقد كنت في الداخل.. أبكي نصوصي المعتقلة..

ومراهقتي المؤجلة..

وقد اتهموني بتهمة الجوع المتعمد..

وإدماني للتلطيش في الطرقات العامة..

واستمنائي على أفلام الرئيس..

وعدم الخروج في مسيرة تأييد للبورنو..

* * *

لم تصبني قذيفة في السابق لكن صابني التجاهل وصمت من كانوا في الخارج..

لم يخترق جدار بيتي الرصاص.. لأني لم أملك بيتًا أساسًا..

لم يضربني الأمن.. لم يسحل أحد السوريين جثتي..

لم يلحظني القناص..

لم أكن مرئيًا حتى..

كنت مجرد ثائر يتكلم بلغة الموتى.. القادمين..

تلك اللغة التي لايتنقها إلا من كانوا في الداخل حقًا..

* * *

أصبحت الآن في الخارج..

أقف عند أي حاجز في مطار.. يسألون عن جنسيتي، يمعنون النظر في وجهي..

لقد عرفوني.. أتيت من تلك البلاد التي لا تعترف بأهلها في الخارج والداخل!!..

ثورة لكل السوريين - بشار ليس شيعيّاً !

■ أبو العلا

لا يثور أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وأخوك هو كل سوري لم يجرم بحق سوري آخر، انتهى.. أنا لا أتظاهر بغرض النصر والحصول على السلطة بل لأجل أن أحصل على انتخابات تفرز سلطة ممثلة للشعب بشكل حقيقي.

نحن العلمانيين نتظاهر لأجل حكم الآخرين، جميع من أعرفهم من المتظاهرين العلمانيين لا يتوقعون نصراً في الانتخابات المقبلة بعد سقوط النظام.

أرى "جعارة" المنافق على التلفزيون، ينشق مناف طلاس فيستقبله المجلس الوطني كبطل رغم أنه لم يعلن انضمامه للثورة... أرى الطائفية على تعليقات الفيسبوك، صفا تضع "الدم السنّي واحد" كشعار دائم..

أنزل إلى المظاهرة لأرى العكس، وكأنّ التدين في الشارع يصبح طائفيّة في الإعلام؟ ربما لا، لأنّ بعض الهتافات الطائفية سمعت مؤخراً في دمشق، ورفعت أعلام سود جهادية، وهي بالضرورة طائفية وقمعية ولا تمثل طموحنا في ثورة الحرية والكرامة.

أرى علمانيين في الخارج يتزلفون للإسلاميين ويشتغلون عندهم كواجهات، ومنهم المرتزقة للفرنسيين والأمريكان وأرى "أهل السنّة" يدعمون النظام بالمال، والكثير من الضباط السنّة يشرفون على قصف مناطقهم، وأعود لأقرأ الشتائم الطائفية ليصبح نظام القمع والقتل "الاحتلال الشيعي النصيري" كما يسميه البعض . وهم إمّا جهلة أو أنذال..

لهذا لا نتوقع أن نكون في سلطة ما يوماً ما، أكبر طموحاتنا اليوم ما زالت هي الحرية، لا نريد أن نكون طرفاً في حرب إقليمية مفتعلة طائفية وغبية بين السنة والشيعة، لن نحارب لمصلحة آل سعود الدكتاتوريين الجاهليين وهيئتهم الظالمة، هيئة النهي عن المعروف والأمر بالمنكر...

لكن الغالبية التي لم تعد صامتة ليست كذلك، على الأرض وفي مظاهرات دمشق سترى أعلام الاستقلال والثورة والإسلام، لا موضة علم الجهاد.. علم الجهاد رفع في أماكن محدودة وبطرق أبعد ما تكون عن القناعات الشخصية.

المال السياسي المتدفق في سوريا، ثمن السلاح والمعونات والمواد الإغاثية والعلاجية سيؤتي بثماره، الإخوان يرشون المحتاج اليوم، سيفشلون غداً، فهم ما زالوا منذ الثمانينات خارج سوريا، يعيشون عالة على الغرب.. يتحالفون مع رفعت الأسد والحرامي عبد الحلم خدام

هي ثورة لكل السوريين، لإمام الجامع وميكانيكي السيارات وشغيلة سياحة الليل والعلماء ولاعبات الكرة الطائرة، هي ثورتنا وليست ثورة المجلس الوطني أو السعودية أو الحريري.. وهي ليست ثورة طائفية، فإن حصلت الحرب الطائفية، فثورتي بريئة منها، لست من دعاة الحرب كما لست من دعاة الطائفية..

بشار الأسد ينتمي لطائفة أهله وهي العلوية، أمّا الشيعة فهم شيء مختلف، حتى أن المتعصبين بين الشيعة يكفّرون العلويين.. بالطبع يتحالف اليوم نظام إيران الطائفي مع النظام الطائفي الآخر في سوريا، يستثمر الجميع في هذه الحرب القذرة، الجميع يدفع الأموال ليدعم دولة دينية قبيحة ضد دولة دينية أخرى تدعى السعودية، والخاسرون هم البسطاء الذين يصدقون كذبة (الصراع الشيعي- السني).. يلعبون بنا ونحن نرضى ونفخر!

بعد أن اعتقل وقتل أغلب ناشطي الثورة السورية في العام الأول، أتانا اليوم من يريد أن يحرر الأمة الإسلامية من الاحتلال "المجوسي"، ولا يتعدى عمره 18 عام لكنه يرفع لافتة تظهر على الجزيرة تلخص الصراع الداخلي بصفته دولي، ويحفز من يعيشون في الخليج في أجواء الاحتقان الطائفي التي كانت غريبة على بلدنا"

سأستمر بالتظاهر وبالعمل لأجل نجاح ثورتي، وليحصد ثمارها من يشاء، لي ديني ولكم دينكم، ولي دنياي ولكم دنياكم.

أنا وأعوذ باللّه من كلمة أنا.. من الناس يللي ما بيحبوا السياسة وما بفهم فيها ولا بحب الحكي فيها وبيعد عنها سفر سنة.. لكن هادا ما شفعلي أبدا ولاقيت حالي بنص الطابوسة وصارت كل حياتنا متعلقة بالأخبار ومن كتر الأخبار والأخبار المضادة وفي خضم انعدام ثقتي المطلقة بالأشياء والمواقف (الإقليمية والعربية والدولية) متل ما بيقولوا صرت اسأل حالي أسئلة بدون ما انتظر إجابات لأنو عالأغلب ما حدا بيعرف أجوبتها..

إنو لأي مدى أميركا وإسرائيل ضد النظام الإيراني؟ يعني طالما هنن كل هالقد (قلقين) ليش سلمت أميركا العراق على طبق من ذهب لحكومة تابعة لإيران وتأتمر بأمرها؟!!

طيب ليش لما قامت قيامة الإيرانيين ضد أحمدي نجاد وقت الانتخابات ما حدا سندهن ولا حدا وقف معهن؟!! مع إنو التيار الليبرالي المعارض لنظام الملالي قوي كتير ضمن فئة الشباب يللي هنن قوة كبيرة بإيران!!..

يعني معقول أميركا وإسرائيل متمسكين بحكم الملالي بإيران حتى يبتزوا دول الخليج وكل هالشي يللي عم يصير تمثيل بتمثيل؟!!!

عن جد شي بيحط العقل بالكف..

طيب بالنسبة للوضع بسوريا ليش لما كان الحراك سلمي والقوى المدنية الديمقراطية موجودة عالأرض ما حدا سندهن؟!!

و ليش هلأ لما فاش النفس الطائفي وغلب التسليح صار فيه غض نظر عن الموضوع وصرنا نسمع بخطط وخطط بديلة وشي من تحت الطاولة وشي من فوق الطاولة وشي راحت لبعد الانتخابات الأميركية؟!!!

ليش كل هالشي ما صار من الاول؟!!

طيب بركي ضل الشعب يموت والجيش يتدمر والبلد تنقصف من هلأ لبعد الانتخابات الأمريكية وما صار شي.. شو منعمل؟!

عن جد ما بعرف بس برأيي يللي بيفهموا (بالستراتيجيا) وأنا مو واحدة منهن لازم يحطوا ببالهن إنو لا أميركا ولا إسرائيل ولا حدا من يللي حوالينا بدو ديمقراطية بسوريا وأقصى شي مطلوب هوة ديمقراطية طائفية متل العراق ولبنان.. وكل شي عم يصير هلق هوة صناعة منظمة لحرب أهلية برعاية أممية..

الأهم من هيك وهيك نحنا السوريين.. شو بدنا؟

أنا من حالي لحالي بدي سيادة القانون.. هادا أول شي هلق وبعدين ودايما.. والديمقراطية بتيجي عبر تطور مجتمعي بياخد سنين ومن هلأ لوقت يصير كل هاد ولاقي الأجوبة رح ضل متل كل السوريين في الداخل والشتات مشكولة بالشكالة (وضعية الستاتيك) متل ما بيقولوا المثقفين السياسيين وأنا مو واحدة منهن..

سلافة عويشق

إشراقات الثورة السورية:
مجلات وأفلام وأقلام وصور تعبق بالحرية

■ ريّان ماجد

استطاع السوريون، وهم يواجهون القتل اليومي الممنهج منذ ما يقارب 17 شهراً، أن يبرعوا في ميادين متعدّدة ومتنوعّة. تفتّحت المواهب عند اندلاع الثورة، يقول ماهر إسبر، ناشط سوريّ قدم إلى بيروت في شهر أيلول من العام الماضي، وخرجت إلى النور طاقات السوريين الإبداعية وغِناهم الثقافي وشجاعتهم وروحهم الساخرة.

نساء من داريا

تحت القذائف والهاون، تجتمع بنات ونساء داريا ليطبخْن ويوزّعن الطعام على أفراد "الجيش الحرّ" وعلى النازحين إلى داريا من حمص وباقي المناطق المنكوبة السورية، بحسب فرح (الاسم مستعار)، ناشطة من داريا. تُخبر فرح، في اتصال عبر "سكايب"، كيف تعمل النساء ويخطّطن للنشاطات ويقترحْن الأفكار ويصنعْن ألعاباً لـلأولاد وهنّ يغنين أغاني ثورية ويضحكْن ويتحدّين القمع والموت. ففي 14 من هذا الشهر، صنعت نساء داريا شجرة تضمّ أسماء المعتقلين في سجون النظام السوري ووضعْنها مكان شجرة الزيتون التي كانت دبّابات النظام اقتلعتها.

إغاثة النازحين

تطوّع مئات من الشابات والشبان السوريين من كل الانتماءات المذهبية والقومية ومن الجنسين لتقديم العون للمتضرّرين والمهجّرين داخل سوريا، علماً أن عملهم الإغاثي يُواجه بمحاولات تعطيل، تبدأ بالترهيب لتنتهي بالاعتقال أو القتل، حسب ما ورد على صفحة "الرابطة السورية للمواطنة" على "فيسبوك". وجّهت الرابطة تحيّة إلى الذين يُغيثون أهلهم بصمت، وبعيداً من الأضواء "ليثبتوا بعرقهم وقلقهم وحياتهم، جدارتهم بمواطنيتهم وسوريتهم وإنسانيتهم".

أعمال توثيقية وفنّية وإعلامية

ينشط العديد من السوريين في توثيق جرائم النظام، حتى أصبح توثيق الموت في سوريا مهنة، كما جاء في نص كتبته الناشطة والحقوقية السورية رزان زيتونة بعنوان "خبراء توثيق الموت من أمثالنا لا يبكون". يعمل مركز توثيق الانتهاكات في سوريا على توثيق انتهاكات حقوق الإنسان وأسماء شهداء الثورة الذين وصلوا إلى 20184 ومعتقليها الذي وصل عددهم إلى 27938، بما يتوافق مع المعايير الدولية، كما جاء على موقعهم الإلكتروني.

برزت أيضاً منذ اندلاع الثورة مجموعة من الأغاني الساخرة، وأعدّت كميّة كبيرة من الأفلام تمّ تناقلها على محطات فضائية، وعلى صفحات التواصل الاجتماعي واليوتيوب: "أنجز أكثر من مئتيّ فيلم، صوّره وأخرجه ومنتجه شباب للمرّة الأولى أعمارهم بين 20 و21 عاماً، تعلّموا السينما الوثائقية حديثاً"، يقول إسبر.

أربع دقائق لمدينة "سلمية"

وظهر أخيراً في كل مدينة سورية ناشطون يتخصّصون بالتصوير الفوتوغرافي، ويلتقطون صوراً مؤثرة توثّق الدمار والمأساة الإنسانية وإرادة الصمود بطريقة فنّية: "هناك عدسة شاب حمصي وحلبي وشامي وديراني، وعدسات عديدة أخرى تلتقط صوراً عظيمة وتتنافس في ما بينها. أخذت هذه الصور مكان الفيديو الذي كان مُعتمداً في بداية الثورة لتوثيق القتل والقصف"، وفقاً لماهر إسبر.

"هناك أيضاً مجموعات تنشط في مجال الصحافة. إذ تم إصدار عشرات الجرائد منذ بداية الثورة"، بحسب إسبر. من هذه الجرائد، "عنب بلدي" التي يصدرها شباب وبنات من داريا بشكل أسبوعي، وتمّ طبع 28 عدداً منها. تقول الناشطة السورية من داريا إن المجلة توزّع على البيوت والمحلات والسيارات والمارّة وفي التظاهرات. وجريدة "طلعنا على الحرية"، وهي نصف شهرية، صدر 12 عدداً منها، تُعنى بشؤون الثورة السورية وتصدر عن لجان التنسيق المحلية في سوريا. تُطبع هذه الجريدة وتوزّع داخل المدن والقرى السورية وفي المهجر، بحسب ما ورد على صفحتها على "فيسبوك". صدر أخيراً العدد الأول لمجلة "غرافيتي"، وهي مجلة شهرية إخبارية ثورية تصدر في مصياف، والعدد الأول لجريدة "بصمة حلب".

هذا بالإضافة إلى العديد من الإنجازات منها إنشاء إتحاد للكتّاب السوريين والقيام بأنشطة تنسيقية، وكتابة لافتات ساخرة ونقدية ورسومات كاريكاتورية تُرفع في المظاهرات وتتناقل على صفحات التواصل الاجتماعي.

أين كانت كل هذه الطاقات والمواهب؟ وكيف إستطاع السوريون أن ينتجوا كل هذه الأعمال الفنية والصحافية والإغاثية وأن يقوموا بكل هذه النشاطات بظلّ القتل والتشرّد والقصف والتعذيب؟

يقول ماهر إسبر إن الثورة فتحت المجال أمام الشباب والشابات للتعبير وعمّمت جوّاً من الحرية كان مفقوداً من قبل، ساعد في إطلاق المواهب المكبوتة. إلا أن هذا الإبداع ليس وليد اللحظة؛ هو نتيجة تراكم تجارب عديدة وحراك شبابيّ كان قد بدأ في العام 2000: "كان الناشطون قبل الثورة يلتقطون الفرصة المناسبة لخرق جدار القمع". ويتابع إسبر أن الإنترنت والمحطات الفضائية في تلك المرحلة لعبت دوراً أساسياً في تحريك الشباب تحديداً، إذ أصبحوا يمتلكون آلية مقارنة ساعدتهم على اكتشاف سوء ظروفهم، بعدما كانوا محجوزين ضمن محطّتين وصورة القائد الواحد والعدوّ الواحد.

تمرّد شبابي وحراك مدني منذ عام ٢٠٠٠

لم ينحصر الحراك الذي سمّي "بربيع دمشق" عام 2000 في العاصمة فقط، بل تعدّاها ليطال العديد من المدن السورية، وفقاً للناشط السوري. وكان النشاط السياسي يندرج تحت عنوان الثقافة:

"كان المثقفون والمعارضون والشباب يبحثون عن إطار للتلاقي. ولهذا، شكّلت الملتقيات الشعرية في مدن عديدة، والجمعيات المدنية كجمعية "العناية بالشجرة"، والمقاهي كمقهى "الروضة" والنوادي السينمائية وغيرها، أمكنة مناسبة للتجمّع والنقاش والتعبير". كما وتأسسّت في السنة ذاتها فرق موسيقية شبابية، كانت تُقيم الحفلات وتُغنّي في الساحات العامة. كان النظام في تلك المرحلة يلجأ إلى قمع بعض النشاطات حيناً أو إلى "إحتوائها" أحياناً أخرى، وفقاً لماهر إسبر: "تأسسّت في تلك الفترة فرقة موسيقية تضمّ شابات وشباناً أطلقوا على أنفسهم إسم "مرتلجية". كانوا يلجأون من خلال الموسيقى ومظهرهم الخارجي إلى كسر الصمت والتعبير عن تمرّدهم. كانت الاستخبارات تعتقلهم وتقصّ شعورهم على الصفر، وكان بعض المعارضين من أصحاب النضال المُلتزم والجدّي ينتقدونهم ويتّهمونهم بتضييع القضية من خلال هذه الصرعات. المرتلجية اليوم منخرطون جميعاً في الثورة".

يتابع إسبر أن "أبو نضّارة" الذي اشتهرت أفلامه خلال الثورة، كان ناشطاً أيضاً في تلك المرحلة، وحاول من خلال فيلمه "الجدار"، عبر تصويره حفلة موسيقية في إحدى ساحات الشام، أن يُلقي الضوء على ظاهرة تشرّد الأطفال التي انتشرت بشكل هائل عام 2000 في هذه المدينة.

يُخبر ماهر إسبر أيضاً عن النشاط السياسي المتعدّد على الإنترنت وعن موقع "الأخوية" الذي شكّل متنفساً للشابات والشبّان، وكان مكاناً يعجّ بالنقاشات التي تتطرق إلى كل الأمور (مواضيع الفساد والدين والسياسية) وتتجاوز الخطوط الحمر، تحديداً بين عامي 2003 و2004: "لم يكن النظام وقتها قد طوّر أدواته لاكتشاف هذه المواقع، أو لم يكن يعرف بعد كيفية التعاطي مع الموضوع".

نُظّمت أيضاً في العامين 2004 و2005 اعتصامات في ذكرى قانون الطوارئ: يذكر إسبر اعتصام جامعة حلب، اعتُقل خلاله الطبيب والناشط محمد عرب، الذي أعيد اعتقاله في 2-11-2011 ولم يفرج عنه حتى اليوم وهو مضرب عن الطعام منذ 30 يوماً، واعتصاماً آخر في ساحة المحافظة في الشام.

اعتُقل ماهر إسبر عام 2006 بسبب نشاطه السياسي، وأفرج عنه بقانون العفو الذي صدر بعد ثلاثة شهور من بداية الثورة السورية.

يرى إسبر أن السوريين تمرّدوا على واقعهم، وأن هذا الإبداع الذي نشهده اليوم في سوريا سيُضاعف بعد إسقاط النظام: "لا يمكن أن يحكم أحد هذا الشعب بعد الآن". يُضيف أن المجتمع الأهلي السوري الذي كان يصف سابقاً المتمرّدين على النظام "بالمجانين" أصبح هو متمرّداً اليوم: سُئل أبو أحمد، بائع خضرة في سوريا، تزوّج منذ سنة ولديه طفل عمره شهرين، لماذا يشارك في التظاهرات ويُعرّض نفسه لخطر الموت. أجاب بأنه لا يريد أن يصبح ابنه أحمد "طلائع"، أي في فرع الأطفال الإلزامي لـ"حزب البعث الاشتراكي".

عن موقع: لبنان الآن
www.nowlebanon.com

هذه حقيقتي: "زوجة الرئيس التونسي المخلوع زين العابدين بن علي، ليلى الطرابلسي"

نيكولا بو وكاترين غراساي: حاكمة قرطاج والاستيلاء على تونس

■ ياسر مرزوق

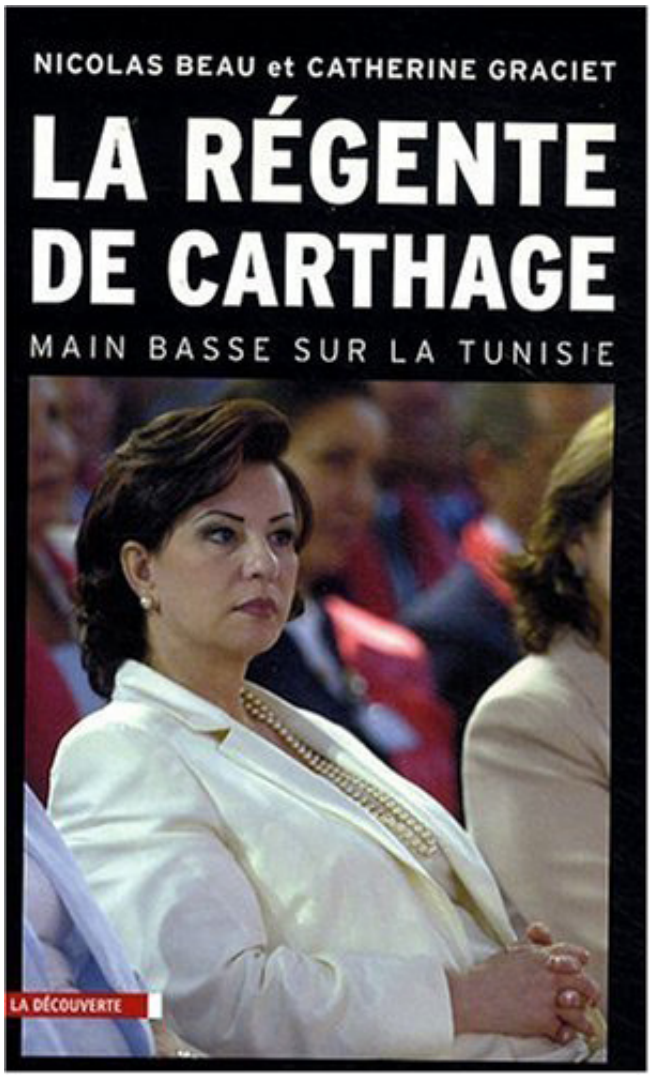

نحن اليوم في ضيافة السيدات الأول، اللائي غيرن المقولة الشهيرة " وراء كل رجل عظيم امرأة ".. وهي المقولة التي غالبا ما نرددها مع الأبطال والفرسان والعلماء لنبحث وراء الحياة الخاصة لكل منهم والتي مهدت له الطريق ووفرت له سبل النجاح، إلا أنه وبعد وقوع الأنظمة القمعية ورموزها وعلى رأسها السيدة الأولى في ربيع الثورات العربية تبدلت الجملة: لتضحي" وراء كل طاغية عربي امرأة. " فقد كان المظهر الأقوى بعد انهيار كل طاغية أمام الإرادة الشعبية الثورية إسقاط القناع عما كانت تديره السيدة الأولى، بل ظهر واضحا عند البعض أن إدارة مقاليد الحكم كانت تحت سيادتها وإمارتها...

والغريب هو التماثل والتشابه في سلوك زوجات الطغاة، والأكثر غرابة كيف لا تقرأ الزوجات الأول التاريخ، فمع تهاوي الطغاة في العالم نجد أننا أمام قافلة من نساء الطغاة كميريانا ماركوفيتش زوجة ميلوسفيتش، وجيان كينج زوجة ماوتسي تونج وعائشة القذافي وحيدة أبيها والتي كان أشهر ما قالته أن "من لا يريد القذافي لا يستحق الحياة". وميشيل بينات زوجة دكتاتور هايتي جان كلود دوفالييه، وفرح بهلوي وبوبي لاداوا زوجة دكتاتور زائير موبوتو سيسيكو، وأميلدا ماركوس زوجة فرناندو ماركوس دكتاتور الفلبين الذي قمع وانتهك حقوق الإنسان طيلة سنوات حكمه، قافلة بنهايات مختلفة بعضهن تعدم مع زوجها أما الأخريات فيعشن على أموال الشعوب المنهوبة في البلدان التي تقبل استقبالهن، لكن الجميع يأخذ مكانه في محكمة التاريخ والقدر، ففرح بهلوي مثلا وبالرغم من حياة الملوك التي عاشتها في المنفى كافأها القدر بانتحار ولديها الاثنين تباعا...

واليوم لنا قراءة في كتابين وهي سابقة على صفحات سوريتنا، الأول كتبته زوجة الرئيس التونسي المخلوع بن علي كسيرة ذاتية، والثاني تحت عنوان "حاكمة قرطاج والاستيلاء على تونس" كتبه صحفيان فرنسيان حياديان، والغرض من قراءة كتابين هو أن الأمور تعرف من أضدادها، ولعل اللافت في الكتاب الأول وكما ذكرنا سابقا إصرار زوجات الطغاة على تجاهل التاريخ، وعدم احترامهن لإرادة الشعوب من خلال وصفها، لفجر الربيع العربي الثورة التونسية بالمؤامرة...

وليلى الطرابلسي، سيدة تونس الأولى تعدى دورها دور الصامت على تجاوزات الطاغية، إلى تهميشه وتسلم مقود الظلم بدلا عنه، فقد أوردت وسائل الإعلام التونسية كيف كانت تتحكم في مقاليد الحكم وسلطاتها التي بلا حدود والتي لم توكل لرئيس الوزارة التونسية نفسه، فقد كان بإمكانها أن تعين وزيرا أو سفيرا ثم تدفعهما إلى الاستقالة، كما يمكنها أيضا أن تزج بمسؤول ما في السجن وتطلق سراحه بعد لحظات قليلة فقط فلقبها البعض بأنها " السيدة التي تملك الحياة والموت في تونس ".

وقد أكدت صحيفة "لوموند" الفرنسية أنه كان هناك خطة لتتولى ليلى مقاليد الحكم مطيحة بزوجها في بداية عام 2013، خلال سيناريو يشمل الإعلان عن استقالة الرئيس لأسباب صحية والدعوة لانتخابات عامة تتوج بفوز ليلى، حيث ينظم الحزب الحاكم مسيرة مليونية بتونس العاصمة تطالب بليلى رئيساً ثم يتم انتخابها في انقلاب على إدارة الشعب التونسي التي اشتعلت ثورته في 2010 وسقط على أثرها النظام وكأن تونس تورث ولكن بطريقة مقنّعة..

ولعل أصدق ما في الكتاب الذي أصدرته زوجة الرئيس التونسي السابق ليلى بن علي في باريس هو عنوانه "حقيقتي" وباختيارها هذا العنوان تؤكد بن علي أنها لا تطمح عبر ما تسرده في الكتاب الذي صدر بالفرنسية عن دار «مومان» إلى أي تجريد أو تحليل، بل إن هدفها هو الإدلاء بروايتها الخاصة للأحداث التي شهدتها تونس، وأدت إلى إطاحة نظام زوجها زين العابدين بن علي، والكشف عن تفاصيل وملابسات رحيلها والرئيس السابق إلى المنفى في المملكة العربية السعودية، من منظورها وموقعها كسيدة أولى.

وبعيداً، على حد قولها، من أي رغبة في "الانتقام" أو "تصفية الحسابات" أو أي محاولة بائسة للعودة إلى الحكم فإن مقصدها من الكتاب هو دحض حملات الازدراء والأكاذيب التي استهدفتها بشكل أساسي ولم توفر أفراد أسرتها، وتحديداً أشقاءها. كما ترفض بن علي الإقرار بأن سقوط نظام زوجها جاء نتيجة الظلم والفقر والإحباط المتراكم الذي فجر احتجاجات جعلت من تونس مهد انطلاقة ما سمي الربيع العربي، وهي تعتمد ببساطة نظرية المؤامرة التي باتت شائعة الاستخدام لتستنتج أن زوجها سقط ضحية انقلاب مدبر.

والكتاب يتضمن مقابلات صحافية أجراها الصحافي الفرنسي "إيفس ديري"، عبر "سكايب" مع ليلى الطرابلسي، ويحمل غلاف الكتاب صورة تظهر فيها ليلى مرتدية حجاباً أبيض ونظارات شمسية سوداء، واعترفت بأن أسلوب حياة عائلتها لعب دوراً كبيراً في إنهاء نظام بن علي حيث ذكرت أن بعض أفراد عائلتها أطلقوا العنان لشهوتهم للمال ورفضوا أن يقفوا في سعيهم لذلك عند حد، كما اتهمت "علي السرياطي" مدير الأمن الرئاسي ورجل الأعمال "كمال لطيف" بكونهما مدبري الانقلاب على زوجها على حد وصفها، كما ذكرت أن "المخابرات الفرنسية أبلغت زوجها أن انتحاريا تسلل إلى صفوف الحرس الرئاسي وكان يعتزم القيام بمجزرة داخل عائلة الرئيس السابق".

وأشارت إلى أن مروان المبروك زوج ابنة الرئيس السابق هو الذي أقنع دوائر القرار الفرنسية بأن زمن ابن علي انتهى، وعلى هذا الأساس تحركت بعض الدوائر لإنهاء حكم زوجها في الوقت الذي كان "نيكولا ساركوزي" يؤكد وقوف فرنسا إلى جانب النظام، وروت المراحل التي سبقت الاطاحة بزوجها والتي لخصتها في "حشد الجموع وتوزيع المال في الأحياء الفقيرة للقيام بأعمال عنف وانتداب القناصة وتأجيج الاحتجاجات عبر تنفيذ عمليات قتل منظمة، وحرق للمنازل".

وكذبت ليلى الطرابلسي ما أسمته "شائعات" حول اشتغالها مصففة شعر أو إقامتها علاقات غير شرعية مع عشاق مثلما يتداول في تونس، كما عبرت عن استعدادها وزوجها للمثول أمام القضاء التونسي. وقالت "نحن على استعداد لمواجهة العدالة في بلادنا إن ضمنوا لنا حيادية الأحكام القضائية وشرعية من سيتكفل بها من القضاة" واصفة أحكام السجن التي نطقت بها محاكم تونسية بحقها وبحق زوجها بن علي وزوجته بأنها "شعبوية"، واستحضرت في الكتاب طفولتها، قائلة إنها "ابنة الشعب". كما تطرقت إلى أول لقاء جمعها ببن علي الذي يكبرها بـ21 عاما.

وقد انتقدت الحكومة التونسية بشدة تمكين السلطات السعودية زوجة الرئيس المخلوع زين العابدين بن علي من الظهور إعلاميا، ورأت في ذلك خرقا لقواعد اللجوء في المملكة، كما أكدت الحكومة التونسية أنه لا قيمة لتصريحات ليلى بن علي الصحفية وأن القول الفصل هو للقضاء الوطني...

أما الكتاب الثاني فأتى بعنوان "حاكمة قرطاج.. الاستيلاء على تونس" وقد أصدرته الهيئة المصرية العامة للكتاب، وهو من إعداد نيكولا بو وكاترين غراساي، وترجمه للعربية عمر بن ضو وكمال البجاوي وإبراهيم بن صالح وآخرون.

والكتاب يعد واحداً من أهم الكتب التي صدرت في الفترة الأخيرة، فهو يفصل القول ويرصد سيرة حياة ليلى الطرابلسي بدءاً من أسرتها المتواضعة ودراستها في معهد الحلاقة ثم حياتها القلقة وحتى أصبحت صاحبة السيادة في تونس. ويتناول ألوان الفساد السياسي والمالي داخل البلاد التونسية، كما يرصد للفتن والدسائس داخل قصر قرطاج وكيف كانت تتحرك الأمور وتدار الدولة، ويتكون من مقدمة وتسعة فصول إضافة للخاتمة وصدر في نحو مائتي صفحة. كما يوضح الكتاب كيف نجحت ليلى الطرابلسي وأقاربها في الاستيلاء على الاقتصاد التونسي مؤكداً أن ليلى كانت مزدوجة الشخصية وتجسم التناقض الذي يعيشه مجتمع ممزق بين الوفاء لتقاليده والانخراط في الحداثة.

ينقسم الكتاب إلى تسعة فصول الفصل الأول بعنوان "نساء ذوات شأن في السلطة"، والفصل الثاني بعنوان "صعود مدو"، أما الفصل الثالث "تعايش في قصر قرطاج"، والفصل الرابع يتحدث عن "بلحسن الطرابلسي نائب ملك تونس"، أما الفصل الخامس فيتحدث عن "عماد الطرابلسي الملاح"، والفصل السادس بعنوان "ليلى مديرة مدرسة ويتناول قضية معهد باستور"، ثم الفصل السابع يتحدث عن "صخر الماطري.. الوريث المزعوم"، والفصل الثامن "معجزة اقتصادية والوجه الآخر للمشهد"، والفصل التاسع بعنوان "وجرت الرياح بما يشتهيه نظام بن علي"، ويختتم الكتاب بخاتمة بعنوان "ارتباكات حكم يشرف على النهاية".

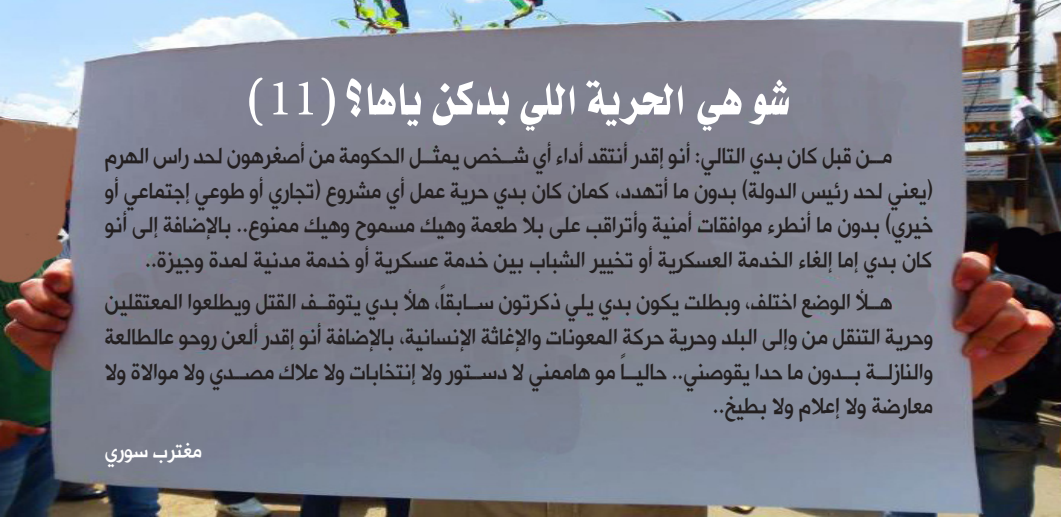

إياد عماشة

لـو صح خبـر وفاة ماهر الأسـد، سـأكون أول المطالبين بتوريث البيجامة تبعو لشريف شحادة..

آية الأتاسي

لا عزيـز بقـي لـه في إعـزاز.. يلم يـد طفله وعيـن أمـه وقلب زوجتـه وقطعـة اللحـم المتبقية مـن رضيعه.. يجمعهم في كيـس ويدفنهم في قبر جماعـي.. لا شـاهدة ولا حَجـر.. يقـرأ الفاتحة مرة.. اثنتيـن.. عشـرة.. لا عشـرين مـرة.. ويكتـب علـى الهـواء.. هنـا ترقد عائلتـي كلها، تركتنـي وحدي يا ربي لأدفنهم.. ليتك دفنتني معهم..
حدث في إعزاز.. رواها ناجي من المجزرة

جمال منصور

متلما كان أسـوأ شي حصل للعروبة، هو حزب البعث، فأكيد أسـوأ شـي حصل لاسم اللّه، هو حزب اللّه.

إياد كلاس

عندي فكرة.. تعـوا نفرطها حبية، وبلا حدود، وبـلا حكومـات، وبـلا أوطـان.. كل كم عيلـة تعمل عشـيرة وياخدولهم زاوية بسفح شي جبل أو عكتف شـي نهر ومنقضيها داحس وغبراء وبسـوس وبني أصفهان وأوس وخزرج وربي يسر..

كنان خوجة

أعمل للثورة كأن النظام باق لسـنين.. وأعمل لسـوريا الجديـدة كأن النظام سيَسـقط بعد خمس دقائق.

رولا الركبي

في العيد الماضي ذهبت لزيارة قبور الشهداء، كانـت أول زيـارة لـي للقبور، لـم يخطـر ببالي أن المقابر سـوف تضيـق وتتحول حدائقنا إلى مقابر، اليوم أرغب بزيارة قبر أبي لكن الطريق إلى المقبرة مقطوع، مقبرة حماة محتلّة، سـامحني يا أبي، أعرف كـم كنت تحـب هذا الطقـس، اعرف كـم قبرا كنت تـزور في صباحـات الأعياد لكني أعدك بأني سـوف أنثر ورودًا دائمة البياض فوق ترابك في يوم قريب، موعدنا يا أبي يوم تتحرر سوريا!

عساف العساف

اللـي ما ينبـع يخلص.. يا بتخلـص القذائف.. يا بتخلصـوا انتوا.. ! يا بنخلص نحـن! بس بتعرفوا شي.. شكلنا ما بنخلص..

عبود سعيد

بيننا مليون عصفور.. ودبابات

شام داود

اي هـلأ صرلنا يومين صراع بيـن لا أخلاقيات وأخلاقيـات الجيش الحر وهادا بيحط اثبات من هون وهـادا بيجيـب فيديـو من هـون.. هلأ الثـورة بدها تبريـر؟ بدهـا ترقيع وتلميـع؟ ولا هية أساسـا ثورة بتعبر عن نفسها؟

الثـورة ثـورة.. والتغييـر أساسـا ليـس مـن الثوابـت.. مـن أراد أن يغيـر فليعمل لذلـك والعمل مقياس الأخلاق وليس التلميع الإعلامي للصفحات.. وان صرخنا ليل نهار اللّه محي الجيش الحر من وراء الشاشـات لن يخفف ذلك من أخطاءه.. وكذلك أن لم نصـرخ ولم نصرح ولم نحيي هذا لا يعني ضمنا أننا ضـد المقاومة المسـلحة في ظل الرعـب الممارس من قبل نظام الأسـد على شعبه.. عيفونا بقا تلميع وترقيع ومحامـاة وقضاة ومدري شـو.. كلو بيحامي عـن كلو.. حتى اللّه صار في الـو محامين دفاع كأنو ناطر مننا ندافع عنو.. سوريا فقط بالجميع ستكون.. دون كل السـوريين ودون العمـل الوطني المخلص لبنـاء الدولة التي ننشـد.. لن يكون هناك سـوريا.. بثورة أو بغير ثورة..

الثورة مستمرة.. مكملين

إياد حياتلة

مائتان وخمسون روح.. خمسمائة عين.. وآلاف القلوب..

زويا بستان

أسـطوحنا يرجف بسـبب مروحيتكم.. موتونا وريحونا بدنا نعرف ننام يا أوادم..

فرج بيرقدار

أسـتغرب أن يكون مقاتلو عشـيرة آل المقداد مقنّعيـن وهم ليسـوا مهددين مـن « الديكتاتورية اللبنانيـة». واللّه الثـوار السـوريون والمنشـقون ما عادوا عملوها.

كارولين أيوب

من 127 يوم لليوم الحياة مو نفسها.. النفس مو نفسـو.. القهوة غير طعمة.. النـوم ما عاد نوم.. رفقاتي صـارو بعاد.. حتى كتبي وغرفتي وأغراضي بعـاد.. تاريخـي صـار بعيـد.. الوطن صـار إلو غير معنـى.. حتـى معنـى الحب اختلـف.. معنـى الثقة.. معنى الإشتياق.. وكتير شغلات تانية.. الشي الوحيد يلي عم حس إنو قريب هو سوريتنا الجديدة يلي رح ترجع تضمنا كلياتنا بقلب كبير.. اللّه كريم..

حكم البابا

لحسني البورظان (الشخصية الشهيرة التي أداها المرحـوم نهاد قلعـي) جملـة شـهيرة كان يرددها في مسلسل "صح النوم" هي: إذا أردت أن تعرف ماذا يجري في ايطاليـا يجب أن تعرف في البرازيـل، وهذه الجملة مناسـبة تماماً لفهم مايحدث في لبنان اليوم، فإذا أردت أن تعـرف لماذا يسـتميت النظام السـوري للتفجير في لبنان، يجب أن تسأل كم هو محشور في سورية..

ياسين الحاج صالح

في الثورة السـورية أخطاء. لكن الثورة ليست خطأ. هي الصح السوري الأكبر طوال نصف قرن.

راشد عيسى

الثـورة لن توفر فقط قسـطاً من الحرية، غداً مئات القصائد، المسـرحيات، المسلسـلات، البرامج، الأفلام.. مثلا كل انشـقاق كتاب. لنبدأ بكتاب عنوانه "المحاولات العشر لانشقاق الشرع"..وهكذا.. مكتبتنا قبل الثورة غيرها بعد الثورة.. هاتوا عناوين..

عروة النيربية

العنـف لا يفنـى ولا يخلـق من عدم. مـن يريد طوباوية إلغاء العنف، ينسى النصف الثاني من القاعدة. مـن يفتـح للعنف أبـواب مشـرعة بلا تحفظ، ينسـى النصف الأول من القاعدة. العنف يمشي عبر الزمن في دوائر، لا يمكن إيقافها إلا بقنونتها.. بالعدالة.

من المعتاد أن يعم اللاجئين والنساء منهم خاصةً الرغبة في إغفال هويتهم إما خوفا من الانتقام أو خجلا من المعاناة التي تعرضوا لها وتحسبا للوصمة المرافقة. من أهم التحديات اليوم أن نعيد لأهلنا من الضحايا واللاجئين شعورهم بالإنسانية بعد أن حاول المجرمون تجريدهم منها بكل الطرق..
الصورة لمجموعة من اللاجئات السوريات على الحدود التركية
ليلى العودات

الاستبداد هو الاستبداد

من وجوه الاستبداد ثلاثة يتعرّف بها:
- فكر أحادي يرى الحقيقة ملك يديه وكل ما يخالفه يعاديه
- خطاب متعال، يعبر عن ذاك الفكر، يقصد الإهانة ويتوسّل التعميم والصور الجاهزة.
- سـلوك وحشـي يمنع، يحبـس، يعتقل، يقتل، ويقتل بعد القتل.
إن سوريا التي عرفت الاسـتبداد الشمولي طويلا، خبرت هذه الوجوه الثلاثة، وعانت منها حتى الإنهاك. وعندما قامـت بثورتها التي لم تكـن إلا ثورة كرامـة، قامت لتتحـرر من ذاك الاستبداد بوجوهه المقيتة تلك.
والآن.. يتلمـس السـوريون مـن خـلال الفوضى العارمة التي يعيشونها فكرا أحاديا، وخطابا متعاليا، وسلوكا وحشيا تشي جميعها بولادة استبداد جديد.
لا أحسـب الثـورة قامت لتبدل اسـتبدادا باسـتبداد آخر. بل لا أستطيع حتى الآن إقناع نفسي بأن ما بتنا نراه ونسمعه مضخما، حتى كاد يطغى على الأخبار، هو ما تريده الثورة.
ما مـن ثورة نقية، هذا أمـر لا جدال فيه. لكـن الشـعب لـن يرضى بـأن تكـون كل تضحياته فقط من أجل اسـتبدال اسـتبداد (شباب العُرب) باستبداد (شباب اللحى).
الاستبداد هو الاستبداد
حسان عباس

بلشـنا نضيع؟!! ضبابية مطلقة وإحساس انـو كل مفاتيـح اللعبـة فلتت؟!! ويـن كنا، وين كنـا رايحيـن ووين صرنـا ووين صرنا رايحين؟؟
مين نحنا هلأ؟ شـو بدنا فعلاً؟ شو عملنا؟ شـو عم نعمـل؟ كانـت بتسـتاهل؟ اسـاتا بتسـتاهل؟ فعـلا كان هاد الطريـق؟ مليون سـؤال، مليـون شـك، مليون عتـب وغضب والحقيقة، والصح والغلط؟
كل هالحكي مشـروع بهيك لحظات.. كله مطـروح، كله ممكـن، كله، كل شـي ممكن نقوله أو نكتبه..
بس السـؤال إلي أنا بيضل عندي أسـاس كل شـي.. شـو دافع كل واحد منا.. شو.. إلي جواتي؟ شـو إلي خلاني اختار طرفي وشارك؟ من شو انطلقت؟ ومنشان شو؟
إلـي كان عم يركض ورا حلم، ممكن يحس انـو حلمه صار كابوس.. الـي كان عم يركض ورا وهم، يمكن اليوم صار يشوفه سراب وإلي متلي كان عم يمشي ورا قرار شعب كسر خوفه وقال من هلأ ورايح أنا بدي يكون عندي حظي بالمسـتقبل.. وإلي آمن بهالشعب وبأنه قادر وراغـب يدفع ثمن هالقرار لأنه قرر، إلي متلي، بيكون عنده جواب، أكيد مو كافي لكتير ناس، وأكيد في ناس رح تضحك منه وتعتبره ساذج، بس هـو محاولتي للرد: اذا الشـعب يوما أراد الحياة، فلا بد أن يستجيب القدر..
هاد اليوم القدر إلي أنا اخترت اتبعه..
فادي ديوب

تطور حمص الاقتصادي والعمراني في القرن العشرين

■ بلال سلامة

حمص مدينة العراقة والتاريخ، نشأت فيها حضارات منذ الألف الثالثة قبل الميلاد. ولعل أقدم موقع سكني في مدينة حمص هو تل حمص أو قلعة أسامة. إن المنطقة التي تشغلها المدينة اليوم كانت مأهولة بالسكان منذ العصر الحجري، وقد أسسها السلوقيون في القرن الرابع قبل الميلاد.

أقدم الأسماء المعروفة لحمص هو اسم "إيميسيا" ويعتقد أنه مشتق من قبيلة إيمساني التي حكمت حمص لعدة قرون من القرن الأول قبل الميلاد وحتى القرن الثالث، وهناك من يظن أنه اسم يوناني مركب من قسمين "إيم" "سيا" حيث يشير الشطر الأول إلى إله الشمس الذي اشتهرت المدينة بعبادته. استقر أغلب الباحثين على أن "إيميسيا" قد اختصرت إلى "إيمس" ثم "حمص" من قبل العرب بعد الفتح الإسلامي للمدينة. أما الصليبيون فأسموها "لا شاميلي"، رغم أنهم لم يحكموها مطلقاً.

في القرن العشرين شكلت حمص أهمية اقتصادية كبيرة لسوريا، حيث تطورت وشقت لها طريقاً راسخاً من النواحي الاقتصادية والعمرانية وفيما يلي بعض الأمثلة على هذا التطور:

الماء والكهرباء في مدينة حمص:

مع زيادة عدد السكان في المدينة، كانت حمص بحاجة لحل يؤمّن المزيد من الطاقة الكهربائية والمياه النقية الصالحة للشرب، ومن أجل هذا اجتمع في تموز 1927 ما يقارب الخمسين شخصاً، وبعد التداول اقترح السيد مظهر رسلان تأليف لجنة تعمل على دراسة مشروع تزويد حمص بالكهرباء والماء النقي ووافق الجميع على هذا الاقتراح، وعليه انتخبت لجنة من سبعة أشخاص أضافة إلى محمد ابراهيم الأتاسي رئيس البلدية (هاشم الأتاسي – أنطون طرابلسي – مظهر رسلان – محيي الدين الدروبي – علي الجندلي – شفيق الحسامي – شكري الجندي).

في آذار عام 1930 عقد المجلس البلدي جلسة خاصة بهذا الموضوع أقر خلالها تلزيم جر الماء النقي لشركة التنوير مقابل 98 ألف ليرة سورية. وعينوا آخر موعد لاستلام هذا التلزيم في تموز 1931.

وفي 20 نيسان 1931 عقد المجلس البلدي جلسة حضرها متصرف اللواء بمشاركة عشرين شخصية بارزة في مجال الاقتصاد آنذاك وحدد المجلس فيها سعر بيع المتر المكعب من الماء بعشرين ليرة عثمانية ذهبية على أن يدفع الشاري كل سنة مبلغ 12 ليرة سورية فقط. أما من لا يرغب بالشراء ويفضل الاشتراك فيدفع مبلغ 26 ليرة سورية عن كل متر مكعب من الماء سنوياً.

في شباط عام 1933 تم بناء خزان ماء ارتفاعه 25 متر ويتسع لكمية 250 متر مكعب وذلك في الهضبة الواقعة في محلة الخالدية. بدأ أهل حمص يشربون المياه النقية مع بداية العام التالي 1934.

أما بالنسبة للكهرباء، ففي تاريخ 18 آذار 1929 تعاقدت الحكومة السورية مع شركة التراموي والتنوير في بيروت لتوزيع القوة الكهربائية في حمص وحماة. بدأ العمل في إنشاء المعمل المولد للكهرباء على شلال نهر العاصي في نيسان 1929. وتم تمديد الكهرباء في حمص وحماة معاً عبر الأسلاك الكهربائية في شهر كانون الثاني 1932. وهكذا تخلصت المدينة من مشاكل التنوير بواسطة البترول، كما استراحت البلدية من مشكلة إقامة الحراسة عليها.

سد بحيرة حمص:

يعود تاريخ بناء السد على بحيرة حمص إلى الألف الثاني قبل الميلاد، وقد قام الاسكندر المكدوني بترميمه، وجدده الإمبراطور الروماني ديو كلتيان في بداية القرن الثالث، وفي عام 1938 بدأ السد يتصدع فقامت الحكومة بإقرار إجراءات التصليح مع زيادة علو السد بمقدار مترين مع توسيع رقعته. بلغت كمية المياه التي تستوعبها البحيرة بعد تنفيذ هذه التعديلات ما يقارب 200 مليون متر مكعب بعد أن كانت تستوعب 90 مليون من الأمتار المكعبة فقط.

شارع ابن عوف:

تم افتتاح هذا الشارع عام 1922، يبلغ طوله 350 متراً وعرضه 12 متر. وهو يقسم المدينة إلى قسمين حيث أنه يبدأ شمال دار الحكومة ماراً بسوق الخضار، وينتهي بشارع باب السباع.

الثكنة العسكرية:

يعود تاريخ هذه الثكنة لعهد المماليك، وتقع بين باب السوق ودار الحكومة، وكان لها بابان، الأول يطل على أول شارع ابن العوف، والثاني يقع مقابل الجامع النوري الكبير. قامت الحكومة في تشرين الأول 1929 بوضع مشروع لاستملاك هذه الثكنة وشق الشوارع فيها ولتصميم أبنية جديدة محلها. استدانت الحكومة من أجل تنفيذ هذا المشروع من مصرف سوريا ولبنان مبلغ 103 آلاف ليرة سورية. كما قامت الحكومة باستملاك المخازن المحيطة بهذه الثكنة وهدمتها ثم قسمت الأرض إلى 12 قطعة مفصولة عن بعضها بشوارع منظمة وباعتها للناس. كما أعطت إحدى هذه القطع لدائرة الأوقاف لتبني فيها مسجداً وأطلق عليه اسم مسجد الصحابي أبو بكر الصديق.

مصفاة بترول حمص:

تعاقدت سوريا مع شركة تكنو إكسبرت التشيكوسلوفاكية لإقامة مصفاة البترول في الجهة الغربية في حمص، لتقوم بتكرير النفط وتوزيعه بواسطة الأنابيب إلى مدن سوريا. وبدأ العمل على تشييد هذه المصفاة عام 1957، وأنجزت أعمالها في آخر حزيران عام 1959. واحتفل بتدشين هذا المشروع في شهر آب من ذات العام.

تبلغ مساحة المصفاة أكثر من 500 ألف متر مربع، ويمكن لها أن تكرر في العام أكثر من مليون طن من البترول الخام.

في عام 1969 تم انجاز مشروع مد خط أنابيب البترول من قره تشوك إلى طرطوس، وذلك بعد أن أجري توسيع للمصفاة فارتفعت بذلك كمية ما تكرره من بترول إلى 2. 7 مليون طن.

مصنع الاسمنت:

تم إنشاء مصنع الاسمنت من قبل شركة مساهمة من الحمصيين برأسمال مقداره عشرة ملايين ليرة سورية في 11 أيلول 1960 بطاقة إنتاجية تبلغ مائة ألف طن سنوياً.

بلغ إنتاج هذا المصنع عام 1966 مقدار 106، 360 طن وبلغ في عام 1969 مقدار 120، 804 طن.

مصنع السكر:

أقيم في الجزء الشمالي من مدينة حمص في عام 1945 وكان أول مصنع ينتج السكر في سوريا. اعتمد في الدرجة الأولى على عملية تكرير السكر الخام المستورد، ثم بدأ يتوسع لإنتاج السكر من الشمندر السكري. وفي عام 1976 ارتفع إنتاج السكر في المعمل إلى ما يقارب الضعف.

ساعة الكنيسة الأرثوذكسية:

قام بإرسال هذه الساعة إلى حمص السيد سليم نسطة، وهو حمصي مغترب في المكسيك. أهدى هذه الساعة لكتدرائية الأربعين شهيداً، وكانت قد بنت قاعدة لها فوق الكنيسة من الجهة الغربية الشمالية. وصلت هذه الساعة إلى بيروت بتاريخ 12 تشرين الثاني عام 1921 وأعفيت من الرسوم الجمركية. تم إنجاز تركيب الساعة عام 1923. كانت هذه الساعة تدق معلنة الأوقات لكل سكان المنطقة الشرقية في حمص.

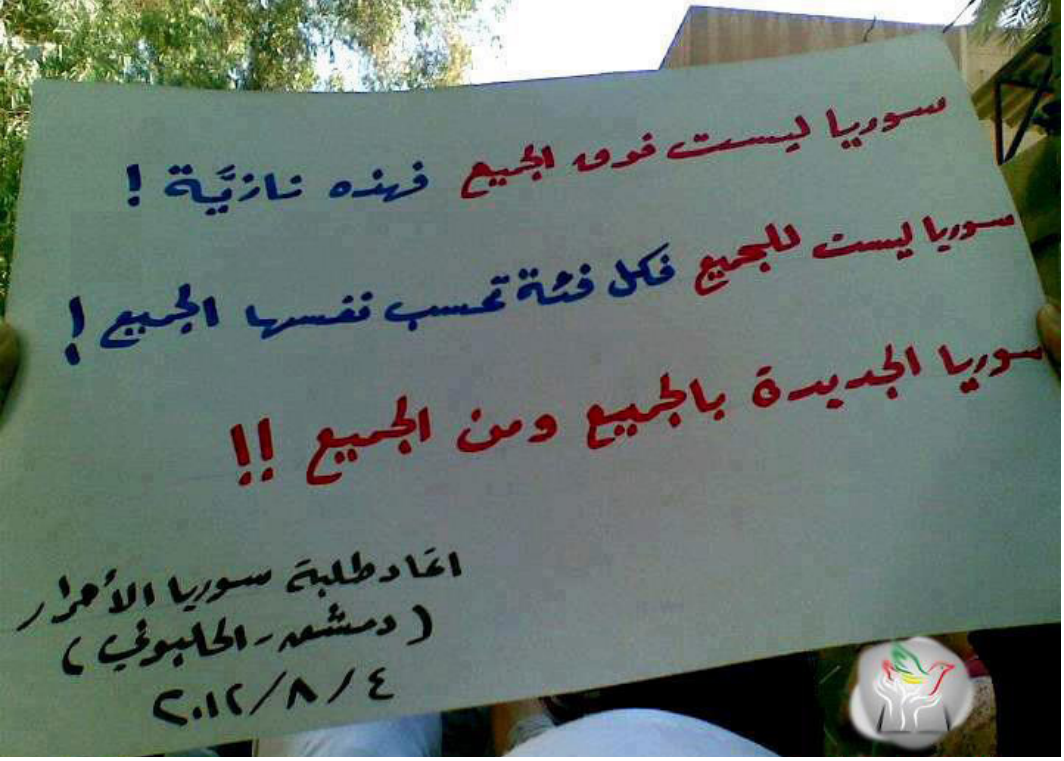

لثورتنا أيضاً أمهاتها

■ سعاد يوسف

منزل صغير، لا يختلف بشيء عن الكثير من منازل المناطق المحيطة بالعاصمة دمشق.. جدران إسمنتية تتخللها بعض الشقوق.. أثاث متواضع، بضع كنبات قديمة وطاولة وضعت عليها آلة خياطة، أكياس سوداء مكومة في زاوية الغرفة، ومن الباب ألمح الغرفة المجاورة: سرير ضيق وكرسي خشبي صغير وخزانة حائطية..

ما هي إلا ثوان حتى جاءت صاحبة البيت.. امرأة في الخمسين من العمر، ممتلئة، شعر أسود قصير ووجه تعلوه ابتسامة عريضة لم تفارقها طوال الوقت.

وقفنا أنا و"دعاء" كي نسلم عليها.. قبلتها "دعاء" بحرارة ثم عرفتنا إلى بعضنا:

- صديقتي العزيزة جداً وهي صحفية أصرت على مقابلتك بعد أن حدثتها عنك كثيراً.

- أختي الكبيرة "فاطمة". أم الثورة وأم ثوارنا.

استقبلتني بترحيب وحفاوة كبيرين، جلستْ وراء آلة الخياطة وجلسنا نحن قبالتها.. وما هي إلا ثوان حتى نهضت وأدارت مروحة قديمة في السقف وجلبت لنا عصير المشمش.

لم أحس بالرغبة في أن أجري معها حواراً، فجو الألفة والراحة في ذلك المنزل أبعدني عن أي تفكير عملي وفضلت أن يكون حديثنا ودياً وطبيعياً.

بدأنا بالحديث عن القصف العنيف الذي تعرضت له منطقتهم مؤخراً. "القذائف كانت تتهاوى هنا وهناك دون أية وجهة محددة. الجيش الحر لم يكن موجوداً هنا في هذا الحي، فلماذا نتعرض نحن للقصف؟". وأخذتني كي أرى ماذا حدث في الغرفة المجاورة. قذيفة في جدار الخزانة وراء الثياب، وأخرى في الجدار المجاور، أما في الغرفة التي كنا نجلس فيها فالحائط والسقف متصدعان بشكل كبير.

"منذ عدة أيام كانت هناك دبابة أمام باب المنزل تماماً.. الدمار الذي لحق بحينا كبير جداً، لكن لا مشكلة البتة لدي، فنحن مستمرون في نضالنا ضد هذا النظام المجرم.. وأنا لم أتوقف منذ اللحظة الأولى عن دعم الثورة والثوار.. "

"وكيف كانت بداية مشاركتك في العمل الثوري؟"

"خرجتُ أول مظاهرة في منطقتنا في الخامس والعشرين من آذار من العام الماضي، وقد شارك جميع أولادي فيها.. بعد مضي حوالي عشر دقائق على خروجها بدأت تصل إلينا أنباء عن هجوم عناصر الأمن وقيامهم بضرب واعتقال العديد من المتظاهرين.. لم أتمكن من البقاء في المنزل فارتديت ثيابي على عجل وخرجت للبحث عن أولادي.. وما هي إلا ثوان حتى وجدت جموعاً متفرقة من الناس تهتف لسورية وللحرية.. للحظات نسيت كل شيء وبدأت أهتف معهم.. كان إحساساً غريباً لم أعرفه من قبل.. أن أسمع صوتي يخرج عالياً من حنجرتي.. صدقيني هي لحظات لا تشبه أي شيء عشته طوال حياتي، وهذا الإحساس بات كالمخدر بالنسبة إلي، لا قدرة لي على الحياة بدونه.. فمنذ ذلك اليوم وحتى هذه اللحظة أنا أخرج في جميع المظاهرات ولم أسمح لنفسي بأن أفوت واحدة منها.. "

"وأولادك؟"

"في ذلك اليوم وبعد أن هتفت قليلاً مع المتظاهرين، كانت هناك سيارة سوداء "مفيمة" يركبها بعض الشبيحة على ما يبدو.. كانت تقترب منا بسرعة ربما لإخافتنا.. وقفت في وجهها وأخذت بالصراخ "اللّه.. سوريا.. حرية وبس.. " ولم أرض أن أغادر مكاني حتى اضطروا هم للالتفاف والعودة من حيث أتوا.. لا أعلم من أين تملكتني كل تلك الشجاعة.. كل ما أعلمه أن ذلك اليوم قد غير حياتي كلها وجعلني أكتشف في داخلي إنسانة لم أكن أعلم بوجودها من قبل..

عثرت على أولادي بعد ذلك في إحدى الحارات الفرعية وعدنا سوية إلى المنزل.. هم أيضاً الآن يخرجون في جميع المظاهرات.. لا أحد منهم يجرؤ على تفويت مظاهرة ما "لأنو رح ياكل مني بهدلة" ".

"واليوم، ما هو دورك في الحراك الثوري هنا؟"

تدخلت "دعاء" ضاحكة لتقول:

"فاطمة تقوم بكل شيء يمكن لك أن تتخيليه.. إلى جانب خروجها في المظاهرات بشكل دائم، فاطمة هي "خياطة" الثورة هنا، فهي تقوم بخياطة كل ما نحتاجه من أعلام استقلال، أقنعة، لافتات، ملابس لمن يحتاج.. أيضاً هي تعمل في مجال الإغاثة.. "

قاطعتها "فاطمة":

"أترين هذه الأكياس السوداء؟ هذه مواد غذائية سيأتي بعد قليل من يأخذها ويوزعها على أسر الشهداء والمعتقلين.. لا نملك الكثير من النقود أو الإعانات.. كل ما نشتريه نشتريه بجهودنا وأموالنا الشخصية.. "

"أهي كافية؟ ألم تفكروا بطلب بعض المساعدات من خارج منطقتكم؟"

"لا لم نفكر بذلك يوماً.. سوريا كلها تعاني معاناتنا ذاتها وعلينا الاعتماد على أنفسنا وموارد فقط.. حتى إننا نستخدم أحياناً مبدأ المقايضة كي نقوم بالاستفادة من كل ما يتوفر لدينا من مواد غذائية، وتلك كانت فكرتي منذ عدة شهور.. "

لم تكن "فاطمة" تتكلم بشفاهها ولسانها فقط، كان كل جسدها يتكلم.. عنها، عن ثورتها على نفسها وعلى عالمها وعلى نظام وحكم همشها كما همش الملايين غيرها.. ها هي الآن تجد نفسها من جديد.. أما لهذه الثورة..

قضينا حوالي الساعتين في منزل "فاطمة".. ودعتنا بأغنية من تأليفها وغنائها.. "كثيراً ما نغنيها في المظاهرات".. قالت لي بفخر..

"دروبك سوريا تلاقينا
خيول العز بتسرح فينا
دم الشهدا بينادينا
الجنة بدها رجال
ثوار.. ثوار..
دروب الأسرى تدعي لينا
اللّه ينصرنا ويحمينا
وين العالم اللي ناسينا
الصمت العربي أجرم فينا
أكتر من بشار
ثوار.. ثوار..

شهداء سوريا

مجموع الشهداء (20724)

دمشق: 1001
ريف دمشق: 2957
حمص: 6024
حلب: 1592
حماه: 2120
اللاذقية: 389
طرطوس: 39
درعا: 2031
دير الزور: 1329
الحسكة: 127
القنيطرة: 43
الرقة: 79
ادلب: 1976
السويداء: 17

2142 عدد العسكريين
18582 عدد المدنيين
1105 عدد الإناث
552 عدد الأطفال الإناث
1379 عدد الأطفال الذكور

المصدر: مركز توثيق الانتهاكات في سوريا 18 / 7 / 2012
http://vdc-sy.or